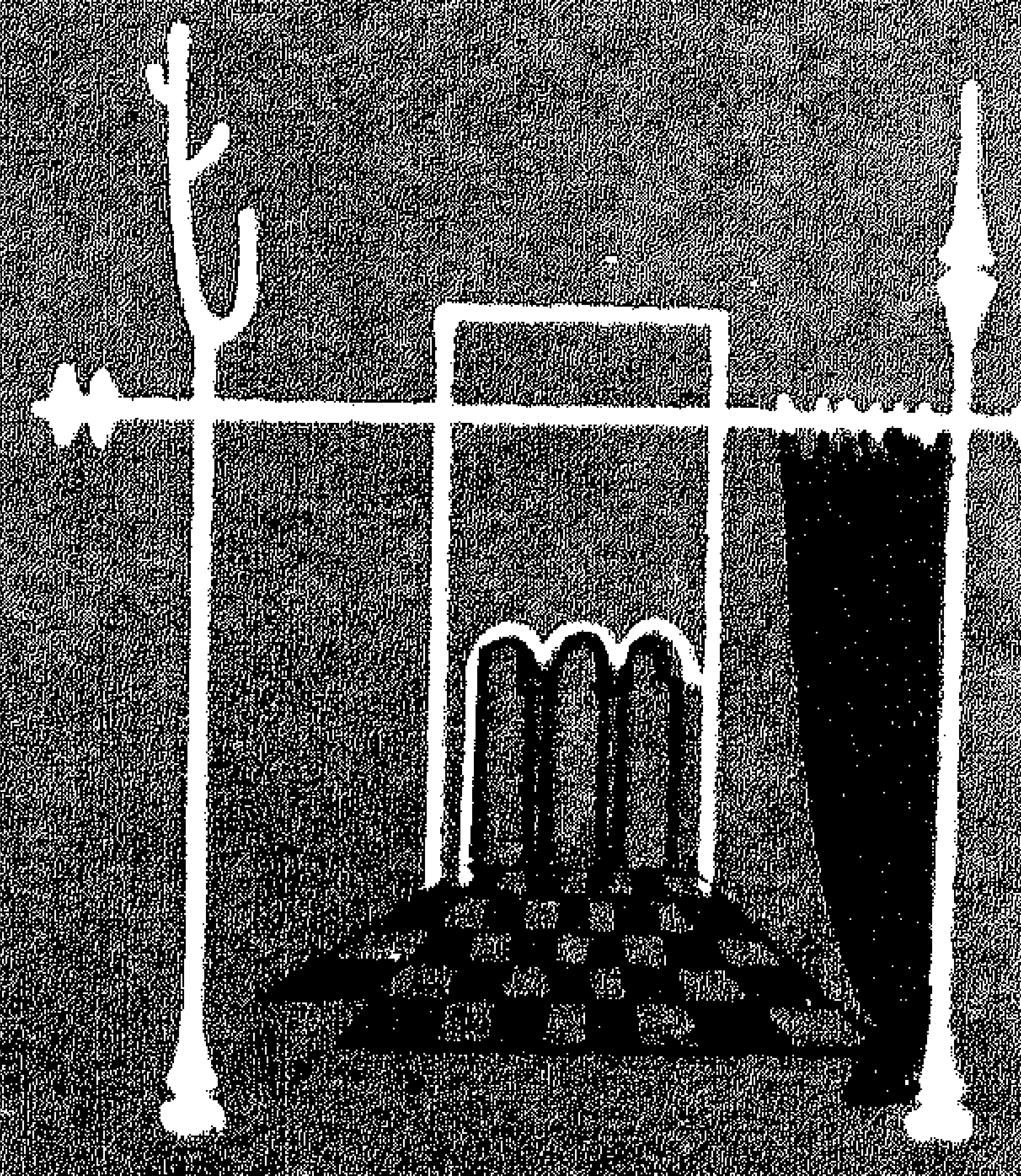


روائع المسرح العالمى
٣٩

رغبة تحت شجر الدردار

تأليف يوجين أونيل

ترجمة نور الدين مصطفى

مراجعة وتقديم الدكتور على الراعى

روائع المسرح العالمى
٣٩

رغبة تحت شجر الدردار

تأليف يوجين أونيل
ترجمة نور الدين مصطفى
مراجعة وتقديم الدكتور على الراعى

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

تقديم المسرحية

بقلم : الدكتور على الراعى

كتب يوجين أونيل [1] فى مذكراته يقول .. « الانسان مقدر عليه الخطيئة وفى باطنه قوى للعذاب تتمثل فى ضميره ، تلهبه بسياط الندم » .

---

(١) عاش يوجين اونيل بين الأعوام ١٨٨٨ ــ ١٩٥٣ ، وهو ابن الممثل جيمز اونيل .

وقد عمل يوجين فى حياته الباكرة بحارا ، وباحثا عن الذهب، وميكانيكيا لاصلاح آلات الحياكة ، وطاف بكثير من بقاع الأرض . كما اشتغل مخبرا صحفيا ، وعاملا فى المسرح ، وممثــلا للأدوار الصغيرة فى فرقة أبيه الجوالة .

وفى عام ١٩١٦ كون مع آخرين فرقة « ممثلى برينستون » التى تولت اخراج معظم مسرحياته القصيرة .

وقد نال اونيل فى عام ١٩٢٤ جائزة نوبل للأدب ، لأنه «وفق فى التعبير عن تجارب انسانية عامة داخل اطار الدراما » .

ويعد أونيل عميد المسرح الامريكى ، لكثرة ما أضاف الى تراثه من مكاسب ، فهو الذى اضفى عليه جدية وحيوية كان يفتقدهما، وهو الذى حاول المرة بعد المرة ان يرفع مادة الحياة الامريكية من المحلية الى العالمية ، حتى لقد أصبح مسرحه قوة ذات أثر فى أمريكا الجنوبية وأووربا وآسيا .

وقد اســـتخدم اونيل فى مسرحه كثيرا من الحيل المسرحية

. . . .

المعروفة استخداما خــلاقا • فهو فى مسرحيتى : « الاله الكبير براون » ، ١٩٢٥ ، و « الياعازر يضحك » ١٩٢٧ ، يســتخدم الأقنعة • وفى مسرحية « حادثة غريبة » ، ١٩٢٨ ، « يلجــأ الى حيلة الحديث الجانبى ، ليكشف عن الحياة الباطنة لشخصياته ، وهو فى « الامبراطور جونز » ، ١٩٢٠ ، يبنى مسرحية بأكملهــا حول المنولوج •

وقد كتب اونيل فى ألوان مسرحية متعــددة ، تتراوح بين المأساة ، والفارس ومزج فى المسرحية الواحــدة (مثل « القرد الكثيف الشعر ») بين الواقعية والرمزية ، وعبر عن نفســه بالواقعية تارة وبالانطباعية تارة أخرى •

على ان أكثر أعماله تطلعا وجسارة هو ســلسلة المسرحيات المعروفة باسم : « الحداد يليق بالكترا » وفيها سعى الى أن يعبر بلغة العصر عن الاسطورة اليونانية القديمة التى عالجها اسخيلوس فى « اورستيا » •

ويختلف رأى النقاد فى التراث الذى خلفه أونيل • فهـذا ايريك بنتلى يرى ان اطماحه فى المسرح قد فاقت منجزاته بكثير ، وأنه نجح حين استخدم الواقعية والميلودراما أدوات تعبير ،وفشل حين حاول أن يتعدى قدراته فيكتب المأساة •

وهذا جاسنر يرى أن أونيل قد قارب روح المأساة الكبرى فى « الحداد يليق بالكترا » وان لم يصل الى هذه الروح تماما • وهو ينعى عليــه ان الدخان فى مسرحياته يعمى البصر عن نارها المضطرمة • ولكنه يسجل له محاولاته بكثير من الاعزاز •

أما مارتن لام فانه يقرر صراحة انه كاتب كبير ، رغم اخطائه الكثيرة ، بينما يسجل الاردايس نيكول مكاسب اونيل لنفســه وللمسرح الأمريكى ، ويؤكد فى ذات الوقت ان هذه المكاســب لاترقى ابدا الى مصاف الفن الكبير •

هذه الخطيئة هي قدر الانسان فى عصرنا الحاضر . فليس فى هـذا العصر آلهة تتآمر على الانسان وتضـع فى طريقه العقبات ، لتستفزه الى نضال الهزيمة فيه محتمة . وانما الانسان نفسه يتآمر على ذاته . هو منقسم على نفسه ، محير بين الخير والشر ، وبين هذين القطبين تدور رحى المعركة التى ينهزم فيها الانسان لا مفر .

غير انه اذا كانت الهزيمة مصير الانسان فهو يملك دونها ترياقا ينقذه دائما من الوقوع فى الحمأة . يملك الندم الذى يرفعه فوق الخطيئة . يملك العذاب الذى يمنحه القدرة على التكفير . يملك النضال الروحى الطويل الذى يحول بينه وبين السقوط ، ويمضي به قدما نحو « التوحيد » ، أى نحو الغاء الثنائية الشريرة التى تقوم فى نفسه بين الخير والشر ، فيمضى الانسان بهذا من الشخصية المنقسمة الى الشخصية المتجانسة .

ذلك ان أونيل كان يرى ان الانسان هو ميفستوفوليس وفاوست معا . وهو بين الوجهين حائر . وقد وجد الكاتب الأمريكى فى مسرحية الرومانسى الألمانى الكبير جوته أقرب عمل بين الكلاسيكيات الى روح عصرنا ، فسعي الى أن يكتب مسرحية على نسقها ، سماها ، « أيام بلا نهاية » عبر فيها عن ثنائية روح الانسان بأن قسم الشخصية الرئيسية فى المسرحية ،

واسمها جون لافنج ، شخصيتين . أما الأولى فاسمها جون ، وهى تمثل فاوست ، أو ذلك الجزء من روح الانسان الذى يعتنق المثل العليا ويسعى الى تحقيقها . وأما الثانية فاسمها لافنج ، وهى تمثل النضال ضد الايمان وضد المثل ، وفيها يتحقق الجانب الميفيستوفيلى من روح الانسان .

وبين جون ولافنج يدور صراع روحى ينتهى بأن يعتنق لافنج وجهة نظر جون ، فاذا بالشخصيتين تتحدان فى نهاية المسرحية ، ويصرخ جون لافينج من أعماقه معبرا عن فرحة التوحيد : « هذه هى الحياة تبسم من جديد بحب الله . هذه الحياة تبسم بفضل الحب » .

* * *

على أساس من هذه النظرة الأخلاقية التطهرية كتب أونيل مسرحيته التى أقدم لها الآن : « رغبة تحت شجرة الدردار » وفيها صور الشخصيات الرئيسية واقعة فى قبضة الخطيئة التى لا ترحم . فهذا الشاب « ايبين » قد عشق زوجة أبيه الشابة « آبى » وعشقته ونشأت بينهما علاقة آثمة ، سرعان ما تتمخض عن طفل غير شرعى .

فلأنهما استمعا الى دعاء الحب المحرم ، ولبيا نداء الجسد ، يكون عقابهما شديدا ، بل عاتيا . انهما يضطران الى التخلص من ثمرة حبهما ، ويواجهان الموت أو السجن ، جزاء ما اقترفت أيديهما من قتل الوليد .

أما الزوج الكهل فقد ارتكب الخطيئة هو الآخر حين تطلع الى ما ليس له . طمع فى الحياة مع زوجة شابة ، اشترى جسدها اشتراءً بما له من مال . ولم يقنع بأن يعيش زمانه فقط ، بل رغب فى أن يخرج على ناموس الطبيعة فيظل الى الأبد « شابا » يتمتع « بخيرات » الجيل بعد الجيل .

انها خطيئة الطمع وخطيئة الشره الحسى معا ، والعجوز يعاقب عليهما عقابا صارما من جنس العمل الذى اقترفه . فاذا كان قد سعى الى الامتلاك ، فالحرمان مصيره ، وان كان قد تطلع الى من يدفىء شيخوخته الباردة ، ويبذل له العون فى عجزه ، فالوحدة المميتة نصيبه ، والعون قد انقطع عنه ، بهرب ولديه بيتر وسيمون ، سعيا وراء عالم آخر ، وبدخول زوجته آبى وعشيقها ايبين ، السجن .

غير ان ثمة فارقا بين المصير الذى يلقاه العاشقان ، والمصير الذى يواجهه العجوز . ان الكهل كابوت هو فى رأى أونيل أشد الثلاثة امعانا فى الجرم . فقد انساق الشابان الى الخطيئة ولهما بعض من عذر . ان أحدا منهما لم يحظ قط بالسعادة ، ولم يتح له ما أتيح للعجوز من متع الحس . وما كان انجذاب أحدهما للآخر الا تعبيرا ملتويا عن رغبة كل بشرى فى أن يلتقى بأليف له يشاركه أفراح حياته وأحزانها . فلما وجد كل منهما

أليفه ، كان من نكد الطالع أن يقوم العرف والقانون والأخلاق حائلا بين العاشقين وبين اللقاء السوى . هنالك تعدى العاشقان الحـد ، وأخطآ فى حق المجتمع والقـانون ، فعاقبهما المجتمع والقانون هذا العقاب الصارم .

غير انهما لم يخرجا قط على ناموس الطبيعة ، كما فعـل العجوز . لم يحاولا أن يمنعا تدفق الحياة كما حاول ، ولم يقولا قط : ما عاش من يجىء بعدى ان لم أعش !

بل أنهما حين عثرت بهما الأقدام دخلا فى نضال روحى طويل ، صورته المسرحية تصويرا مستفيضا . نضال بين حب الجسد وحب الروح . وقد خرجا من هذا النضال ، وقد سما كل منهما عن واقعه المادى ، فهذه « آبى » ، تنكر متعتها الشخصية ، وسعادتها ، فتخنق بيديها وليدها بعد أن خيل لها ان الطفل البرىء سيحول بينها وبين حب ايبين .

وهذا ايبين يرى فى ختام المسرحية انه قد كان مشاركا « آبى » على نحو من الانحاء فى قتل الوليد ، فهو الذى أوحى اليها بأن تتخلص منه . وهو لهذا يتقدم فى شجاعة الى ممثـل القانون طالبا أن يؤخذ بجريرة ما ارتكب ..

لقد اكتشف العاشقان فى ساعة المحنة ان حب كل منهما للآخر أسمى بكثير من مجرد ارضاء لشهوة عابرة — شهوة

الجسد التى تتمثل فى غرامهما الملتهب ، وشهوة النفس التى تبدو فى رغبتهما فى الانتقام من العجوز .

• انهما يجدان فى ساعة الحسم انهما يحبان أكثر مما يكرهان .

ان الثنائية الخطرة — ثنائية الخير والشر فى روحيهما — لا تلبث أن تزول ، ويختفى الانقسام الروحى ، ويحل محله الاندماج الذى وحد بين جون ولافنيج فى مسرحية : « أيام بلا نهاية » ، ويسير العاشقان الى مصيرهما وقد أشرقت عليهما الشمس — شمس الطبيعة ، وشمس السعادة الروحية ، يسيران ، وقد اشتبكت أيديهما ولسان حالهما يقول : « هذه هى الحياة تبسم من جديد بحب الله . هذه الحياة تبسم بفضل الحب » .

ويكون من سخرية القدر بعد هذا ، أن يعاقب من ارتكب السوء بجهالة . ويترك حرا من اقترف الاثم عامدا ، غير نادم .

ولكن هذا انما هو بعض من النقد الذى يوجهه أونيل الى مجتمعه . فهو فى رأيه مجتمع يعبد الحرف ، ولا يلتفت الى الجوهر . وما دام الحال كذلك ، فكابوت العجوز هو المجنى عليه والعاشقان هما المجرمان !

* * *

ومن الواضح ان كابوت يعبد الها آخر غير الذى يعبده

أونيل وعاشـــقاه ، وغـير الذى يستجيب لندائه الشـــابان الضحوكان : بيتر وسيمون .

ان اله كابوت قاس ، صارم ، عنيد ، لا يرحم ولا يحب الرحمة لأحد .. انه اله العذاب . هو الذى دفع بالعجوز الى هــذه الأرض الصخرية الصلدة ، يرويها بقطرات من عرقه ودمه ، ويضرب بفأسه فى جلاميدها ، حتى تنشق عن النبات فكأن الحياة عند هذا الاله ، وعند عباده من أمثال كابوت ، حكم بالأشغال الشاقة عن ذنب اقترفه عباده .

ذنب هؤلاء العباد وحسب ؟ بل ذنب الانسان عامة ، الذنب الأول الذى استحق الانسان من أجله أن يشقى فى وادى الدموع هذا — هذه الحياة الدنيا .

ولقد هفت نفس كابوت الى الحياة الرخية الهانئة — تطلع الى أن يزرع الأرض السهلة الخصبة ، وينال المتعة دون أن يشقى فى سبيلها ، فرده عن هذا صوت الاله قائلا : عد من فورك الى أرضك الصلدة فاضرب فيها بفأسك ، فما لمثلك خلقت الحياة اللدنة .

اذ ذاك ثبت كابوت على دينه التطهرى الصارم ، فكانت أحداث هذه المسرحية المؤسية .

فهو مقيم فى هذه الأرض الشحيحة ، يدفع عياله ، كما

يدفع أبقاره وباقى بهائمه الى العمل الشاق المجهد ، فى سبيل أن يصنع لنفسه مزرعة ، ويبنى بيتا .

يقول ابنه سيمون وهو يخاطب الأرض : ثلاثون عاما من عمرى دفنتها فيك — ونشرتها فوق سطحك دما وعظاما وعرقا — قد تحللت كلها وأصبحت خصبا لك ، أغنى روحك — فهو والله سماد رفيع ذلك الذى كنته لك .

ويعلق ايبين على شكوى الأخوين من مشقة العمل فى الأرض قائلا : لم تكونا تسقيان الماشية أو تحطبان ، أو تحرثان .. انما كنتما تصنعان من الصخر الذى تستخرجان جدارا ، فما لبث قلباكما أن أصبحا صخرا كهذا الذى تستخرجان .

ويضيق الأخوان بهذه الحياة الجافة المقبضة ، ويلوح لهما ذهب كاليفورنيا السهل المنال ، متألقا مغريا ، فيستجيبان لندائه ، ويتركان وراءهما أخاهما ايبين يخوض مع نفسه ومع أبيه صراعا مرا قاسيا .

ذلك ان ايبين هو قطعة من أبيه . تطهرى النزعة مثله . هو كوالده يؤمن بالأرض الصلدة وبالفأس الذى يضرب به فيها ، وينكر الحب الإسمى ، ولا يؤمن الا بحب الشهوات . وهو

لهذا يزلزل زلزاله حين تقع فى طريقه هذه الأنثى المتفتحة « آبى » فهى كانت تدعوه ، من وراء جسدها الفوار ، الى ما هو أعمق من اطفاء الشهوات . كانت تفتقد القلب الحنــون والنظرة الرحيمة وتسعى الى حياة منزلية هانئة ، بعد أن ظلت السنوات الطوال تعمل لحساب الغير ، فى بيوت الناس . فلما وقع فى طريقها أخيرا من يرضى بخطبتها لنفسه ، كان هــذا العجوز الفانى ، الذى يطمع فى أن يبقى هو وحده بعد أن يموت كل النــاس .

كانت آبى اذ ذاك تعيش على المستوى الأدنى للحيــاة — كانت مجرد كائن حى يحرص على البقاء ، ويسعى الى اشباع رغباته الأولية . فلما لقيت « ايبين » عشقته هذا العشق الجسدى ، فلم تلبث شهوتها له ان استحالت عشقا روحيا رفعها ورفع معها ايبين الى مستوى من الحياة أرفع ودفعها الى انكار الذات ، والرغبة فى التكفير عن الذنب .

على هذا المستوى الرفيع من العيش ، وجدت آبى انهــا أجرمت فى حق الطفل ، ولكنها لم تجرم قط فى حق العجوز . انه فى رأيها أ‍ـش البلاء ، بل انها لتتمنى ، هى وايبين لو أن القتيل كان ذلك العجوز القاس الفؤاد ، بدلا من الطفــل

البرىء [1] ، فان العجوز هو المجرم الحقيقى فى المسرحية : دمّر حياة زوجته الأولى ، وامتص الرحيق من حياة ولديه بيتر وسيمون ، ثم جعل يناجز ايبين ويقاتله ، يريد أن يبقيه فى مكانه الذليل أبدا : واحدا من الماشية التى تخدم المزرعة ، وتعيش فيها وبها .

* * *

الى جوار هذه الجرائم الكثيرة التى ارتكبها العجوز ، هناك جريمة أخرى ليست أقل أهمية فى رأى أونيل ، ألا وهى جريمة من يبدد حياته سدى ، دون متع ، أو استرخاء ، عبدا لمثل واحد أو مجموعة مثل [1] .

---

(١) هذا ما تمناه أيضا باريت كلارك فى كتـــابه « يوجين اونيل » فقد شكك فى ان يطاوع « ابى » قلبها على قتل ابنهـــا ، وذهب الى أنه قد كان من واجب المؤلف ان يجعلها تقتل العجـوز بدلا منه ·

غير ان اونيل لو فعل هذا لخرج على المعنى العميق للمسرحية، وهو المعنى الذى شرحناه آنفا ·

(١) كان من رأى اونيل ان أباه ، الممثل جيمز اونيـــل ، قد تورط فى هذا الخطأ حين انساق وراء نجاحه فى مسرحية مونت كريستو لاكسندر ديماس ، فذهب يطوف بها أمريكا ويمثـــل دوره فيها عاما بعد عام محققا ارباحا طائلة حتى اذا افاق لنفســه ذات يوم وجد انه غير مستطيع ان يمثل دورا آخر · وبهذا تحطم مستقبله المسرحى ، وراح ضحية تمسكه بمثل أعلى واحد ·

فاستنبات الأرض الصخرية هو المثل الأعلى الذى ألح على كابوت حتى أفسد عليه متع الحياة جميعا ، وحتى دفعه الى أن يشد الى عجلته باقى شخصيات المسرحية .

أما زوجته الأولى فقد هلكت دون تحقيق هذا المثل ، وأما ايبين فقد أوشك أن يتلف هو الآخر . وهو على كل حال قد ذهب الى السجن من جـراء جريمة ارتكبت من أجـل الاحتفاظ بالمزرعة .

اثنان فقط من شخصيات المسرحية قدر لهما الافلات من الشرك الذى تمثله المزرعة ، هما بيتر وسيمون ، اللذان ودعا سنوات الشقاء الطويلة فى الأرض بأغنية تشدو بجمال الحياة فى كاليفورنيا وتتطلع الى ما تمثله من حرية وغنى .

ومن ثم أصبحت كاليفورنيا رمزا للحياة الحرة التى يتطلع اليها كل من يثور على الحياة الكليلة النظر التى يعيشها أهل المزرعة

وأصبحت الأرض الصخرية والمزرعة رمزا مكانيا للجهامة

= وقد عبر يوجين اونيل فى عديد من مسرحياته عن مضـار التعصب للمثل ، فصور بعض ابطاله فى صورة الرجل النـاجح الذى يبيع روحه للشيطان مقابل الغنم المادى ، ثم يجد من بعـد أنه عاجز عن الاستمتاع بالثروة ، وعاجز أيضـا عن اجتـلاب السعادة بوسائل أخرى .

والعسف ، والروح التطهرية التى تنكر المتعة وتستعذب الشقاء .

والى جوار هذين الرمزين الرئيسين ، هناك الأرض القابلة للزراعة ، وأونيل يتخذها رمزا للخصوبة الأنثوية ، ويعقد مقارنة — فى غير موضع من المسرحية — بين الأنثى العامرة الجسد وبين الأرض الخصبة المحروثة حديثا . كلاهما له عبير مثير ، يستفز الى العمل والاكثار .

وهناك أيضا شجرتا الدردار ، ويعنى أونيل بأن يبرز فيهما صفات يجسمها خيال الشاعر ، كلها تؤكد الشبه بالنساء ، فغصونهما كالشعر السائب ، وهما أقرب ما تكونان الى امرأتين منهكتين تتدلى اثداؤهما وأيديهما وشعرهما على سقف بيت المزرعة ، وتنهمر منهما الدموع — حين يسقط المطر - وتتساقط عبر السقف لتصيبها العفونة بعد ذلك .

هاتان الشجرتان هما رمز للمصير الذى كان مقدرا لسكان المزرعة أن يلقوه فى نهاية الأمر — الاستنزاف التام لكل قواهم الحيوية ، والبكاء على ما فاتهم من حياة . انها رمز الحياة المقفلة المضيعة ، سواء أكانت حياة العجوز التى هى أشبه بحياة الثور المجهد ، أم حياة ايبين وآبى التى شابتها الدموع واتسمت بضياع القوى الجنسية فى مسارب غير منتجة .

ثم يرسم أونيل صـــورة لحياة ثالثة غير حياة السجن فى المزرعة، وحياة الانطلاق فى كاليفورنيا ، هى حياة العجوز وهو على اتصال مباشر بقوى الحياة المنتجة فى المزرعة . انه يفتقد هذه الحياة حين تتعقد أمامه الأمور وتتأزم ، فيلجأ الى أبقاره يبيت فى حظائرها ، وينام معها نوما عميقا هانئا ، لأنها هى التى تفهم وتقدر ، وتعرف كيف يكون النوم الهنى .

هذه هى جنة العجوز وهذه هى المتعة التى كانت جديرة أن تتخلص اليه ، لولا طمعه ورغبته فى اختطاف متع الآخرين دون أن يدرى كيف يتمتع بها أو بغيرها .

***

ومن الواضح ان أونيل كان متأثرا بتجارب كل من ابسن وتشيخوف فى المسرح حين سعى الى التعبير عن مضار العبودية للمثل الأعلى الواحد ، وحين صور الحياة الضيقة المغلقة التى تفتك بالروح ، وتدعو الى التطلع الى حياة أخرى مفتوحة فيها يتركز الأمل فى النجاح والانجاز .

وهو أيضا قد تأثر بالحيل الفنية التى لجأ اليها الكاتبان الكبيران للتعبير عن موضوعيهما .

فهناك استعماله لرمز مركزى تدور حوله المسرحية هو فى هذه الحالة المزرعة والبيت ، يتخذهما المؤلف — كما رأينا —

رمزا للحياة المغلقة ، ثم يقارن بين هذه الحياة وبين الحيـاة المتحررة فى كاليفورنيا .

وهذا هو الأسلوب نفسه الذى يستخدمه كل من ابسن وتشيخوف فى مسرحيات مثل « البطة البرية » و « الشقيقات الثلاث » . فالبطة البرية هى رمز الحياة المنكسرة التى يحياها أبطال المسرحية ، وهى أيضا رمز لتطلعهم الى حياة محلقة يمنعهم من التمتع بها انكسار جناح البطة .

والشقيقات الثلاث يعشن فى المدينة الاقليمية الصغيرة حياة مقفلة يضقن بها أشد الضيق ويتطلعن عبرها الى الحياة الرحبة فى موسكو ، كما يتطلع كل من بيتر وسيمون وايبين الى الحياة فى كاليفورنيا .

كذلك ربما يكون أونيل قد تأثر بما يدور فى مسرحية تولستوى المشهورة : « سلطان الظلام » من أحداث . فان الفلاح الشاب نيكيتا يرتكب هو الآخر جريمة الزنا ، ويولد له طفل غير شرعى ، يضطر من بعد الى قتله درءا للفضيحة . ثم يثور ضميره قرب نهاية المسرحية ، ويستمع الى صوت أبيه الذى كان يدعوه للندم طيلة الوقت ، فيقرر نيكيتا أن يعترف بجرائمه أمام الملأ ، لأنه عن طريق الندم والكفارة تكون نجاته من الحمأة التى أوقعتها فيه جرائمه .

وتنتهى المسرحية — كما تنتهى عند أونيل — وقد أشرقت شمس الروح من جديد على من ارتكب السوء بجهالة ، فأصبح من الناجين .

كلا المسرحيتين دراما ريفية ، وكلاهما تصدران عن نفس النبع الفلسفى : الانسان خاطىء لا محالة ، ولكنه يملك أن يسمو بالندم عن خطيئته .

* * *

كتب بروفيسور الارداس نيكول يصف « رغبة تحت شجرة الدردار » بقوله : انها مسرحية شيطانية فى قوتها ، تصور فى جسارة ونجاح تام المفارقة بين الأرض الصلدة والجو الدينى المتزمت من جهة ، وبين حمم العاطفة التى تنفجر من عواطف العاشقين : ايبين وآبى من جهة أخرى ، بعد أنه تورطا فيما يشبه جريمة الزواج بين المحرمين .

ويمضى نيكول فيقول : غير ان المسرحية ينقصها تلك الخصائص الميتافيزيقية التى هى قادرة وحدها على خلق التراجيديا الحقة .

وما من شك فى أن هذا تقدير عادل لهذه المسرحية التى تعتبر — مع ذلك — من خير ما كتب أونيل ..

— انها ليست مأساة ، فان بناءها المحكم ، وحوارها الذى

يرتفع أحيانا الى مرتبة الشعر وعواطفها الجياشة الدافقة ، والصراع الحاد الذى يدور بين شخصياتها بعضهم البعض ، وبينهم وبين البيئة غير المواتية التى يعيشون فيها ، كل هـذه العوامل تجعل « رغبة تحت شجرة الدردار » مسرحية قوية حقا ولكنها لا ترفعها قط الى مرتبة المأساة .

انها أشبه ما تكون بمسرحيات الدم والفزع والعواطف الفوارة التى عرفها تاريخ الأدب الانجليزى على عهد اليزابيث ، على أيدى كتاب من أمثال مارلو وجون فورد وجون ويبستر .

وعيب أونيل هنا هو أن العواطف الجياشة تستغرقه فيمضى وراءها يتتبعها جريا وراء ما تحدثه من أثر عـلى جمهوره وذلك بدلا من أن يسيطر هو نفسه على هذه العواطف فيعبر عنها ، ثم يعلو عليها ، كما يعلو شكسبير مثلا على حوادث الدم والعنف التى نجدها فى عطيل أو ماكبث ، ليجد وراء الشر الذى يجرى على المسرح معنى آخر أكبر وأعمق من مجرد دم يسفك أو آدمى يموت .

ان المشاهد العنيفة التى تسبق مقتل الطفل وتليه ، تحوى أمثلة طيبة للعواطف القوية المؤثرة التى تشد المشاهدين شدا ، ولكنها لا ترتفع بهم قط الى مستوى المأساة ، اننا ننفعل أشد الانفعال حين يتشاجر كل من إيبين وآبى ، فيهدد العشيق عشيقته

بأنه مزمع هجرها ، لأنها خدعته ، واستولدته هذا الطفل ، بقصد استخدامه وريثا يجلب لها المزرعة . ويزداد انفعالنا حين تقرر العشيقة انها ستقتل الطفل ما دام هو يقف عقبة بينها وبين حبيبها ، وتمضى من فورها فتنفذ ما اعتزمت ، وتجرى بعد ذلك كالمجنونة ، لتنهى الى عشيقها النبأ المفزع .

ثم تحز فى نفوسنا المفارقة حين يظن ايبين فى بادىء الأمر انها قد قتلت العجوز فتستريح نفسه ، ويأخذ يفكر فى وسائل لستر الجريمة ، ثم تصيبه لوعة مجنونة حين يتأكد ان الأم قد قتلت وليدها فعلا فيهذى ويصرخ ، ويندفع من فورة ليبلغ البوليس نبأ الجرم الفادح .

هنا يتلاعب الكاتب بعواطفنا تلاعب القادر ، ولكنه لا يفعل أكثر من هذا كثيرا . انه كما يقول الناقد الأمريكى جون جاسنر يدفع شخصياته دفعا مبالغا فيه نحو مصائرها المحتومة ويسمح لعواطفها أن تنفجر بلا كياسة أو رشاقة ، فيجلب بهذا على نفسه تهمة الميلودراما .

غير ان المسرحية ، فى الحدود التى تبلغها فعلا ، وليس فى الحدود التى رمى اليها المؤلف ، تصور موقفا انسانيا بذاته تصويرا قويا فعالا تحاول به أن تخترق مظاهر الأشياء ، لتتبين ما وراءها ، وتتخذ منه موقفا .

فاذا شئنا أن نصنفها دراميا فهى مسرحية أخلاقية فى المحل الأول ، بها نغمات اجتمـاعية مؤثرة ، تعـبر عن السخط والاحتجاج على الظلم ، وتتمثل هذه النغمات أقوى ما تتمثل فى تصوير حياة « آبى » الماضية ومغزى زواجها من عجوز تكرهه ، كما تتمثل فى الادانة القوية التى يدين بها أونيـل العجـوز كابوت ، وتبدو هـذه النغمات الاجتماعية أبرع ما تكون حين يأتى مأمور الناحية ليلقى القبض على المجرمين ، فيقول فى حسد ، بعد كل ما حدث من جراء الأرض :

انها مزرعة ظريفة ، لطيفة . يا ليتنى كنت مالكها !

هنا يرتفع النقد الاجتماعى درجات فى سلم التقدير فيصبح أيضا نقدا لجذور المجتمع ، متمثلة فى الملكية الخاصة ذاتها ، وما تجلبه على الناس من شرور .

على الراعى



شخصيات المسرحية

١ ــ افرايبم كابوت	EPHRAIM CABOT	
٢ ــ سيميون	SIMEON	أولاده
٣ ــ بيـــتر	PETER	أولاده
٤ ــ ايبـــين	EBEN	أولاده
٥ ــ آبى بوتنام	ABBIE PUTNAM	

فتاة ، مزارعان ، عازف الكمان ،
مأمور ، وأناس آخرون من المزارع المجاورة

رغبة تحت شجر الدردار

تدور أحداث المسرحية جميعها داخل المنزل الكائن فى مزرعة كابوت فى نيوانجلند وتنتقل بسرعة خارجـــه فى عام ١٨٥٠ • ويواجه الطرف الجنوبى من المنزل سور حجرى فى منتصفه بوابة خشبية ، تفتح على طريق زراعى • المنزل فى حالة جيدة ، ولكنه يحتاج للطلاء • حوائطه رمادية باهتة ، وكذلك خشب النوافذ قد صار لونه الاخضر حائلا • على كل من جانبى المنزل توجد شجرتان ضخمتان من شجر الدردار وتنثني اغصانهما المتهدلة فوق المنزل ـ ويبدو كما لو أن تلك الاشجار تحميه وتقهره فى وقت واحد ، فى شكلها ملامح أمومة شريرة ، واندماج ساحق غيور • وحـين تتوقف الريح عن تحريكها ، فانها لارتباطها الوثيق بالحيـــاة البشرية داخل المنزل ، تأخذ طابعا انســـانيا مفزعا • وتتدلى الأغصان ثقيلة فوق المنزل ، وكأنها نساء مرهقات يرحن أثداءهن المتهدلة وايديهن وشعورهن على سقفه ، وحين تمطر الدنيا تتساقط منها الدموع فى رتابة ، ويصيبها العطن على حافة السقف •

وهناك ممر يمتد من البوابة ، ويستدير حول ركن المنزل الايمن ثم يفضى الى الباب الامامى • وعلى هذا الجانب توجـــد سقيفة ضيقة ، وفى الحائط الذى يواجهنا توجد نافذتان فى الطـــابق العلوى ، ونافذتان ثانيتان اكبر منهما فى الطابق الســـفلى • النافذتان العلويتان هما نافـذتا مخـــدع الأب ، والأخريان فى مخدع الأخوة • الى اليسار ، وفى الطابق الأرضى ، يوجد المطبخ والى اليمين ، غرفة الجلوس ، وستائرها دائما مسدلة •

القسم الأول

المنظر الأول

خارج منزل المزرعة . وقت الغروب ذات يوم فى أوائل صيف عام ١٨٥٠ . ليس ثمة ريح ، وكل شىء ساكن . السماء أعلا السقف تغطيها ألوان غامقة ، وهكذا تتألق خضرة شجر الدردار، ويرقد المنزل فى الظل ، ولذا يبدو باهتا عاطلا عن البهجة بالنسبة لما حوله .

(يفتح باب ، ويأتى ايبين كابوت الى نهاية السقيفة ، ثم يقف ناظرا الى الطريق على يمينه . يمسك جرسا كبيرا فى يده ، وهو يهزه بحركة آلية ، محدثا صلصلة تصم الآذان . ثم يضع يديه على عجزه ، ويحدق الى اعلا ، صوب السماء . يتنهد فى رهبة محيرة ، ثم يندفع قائلا فى اعجاب يقطعه التردد .

ايبين : يا الهى ! يا للروعة !

(يغض ناظريه ويحدق حواليه فى عبوس . انه فى الخامسة والعشرين من عمره ، طويل ، مفتول العضل . وجهه متناسق التقاطيع ، جميل الشكل ، ولكن يكسوه تعبير الحنق والتحفز . عيناه السوداوان المتحديتان تذكران المرء بعينى حيوان متوحش وقع فى الأسر. وكل يوم بالنسبة له قفص يجد نفسه أسيرا داخله. ولكنه فى اعماقه لم يقهر . يحيط به جو من حيوية وحشية

مكبوتة • شعره أسود ، وله شارب ، وأثر رقيق من لحية مجعدة• يرتدى ملابس عمال المزارع الخشنة •

يبصق على الأرض فى ازدراء بآلغ ، ثم يستدير ويعـــود الى المنزل •

يدخل سيميون وبيتر عائدين من عملهما فى الحقول • انهما رجلان طويلان،أكبر سنا من أخيهما غير الشقيق(سيميون فى التاسعة والثلاثين وبيتر فى السابعة والثلاثين) جسداهما أكثر بســـطه وأيسر قالبا ، وأكبر بدانة ، وجهاهما أشد غباء وألفه ، فيهمـــا دهاء ، وهما أكثر واقعية • كتفـــاهما منحنيتان قليـــلا من أثر سنوات العمل فى المزرعة • انهما يسيران فى تثـاقل وبطء فى احذيتهما القبيحة ذات الرقبة والنعل السميك ، التى تلتصق بها كتل من الطين • ملابسهما ، ووجهاهما ، وايديهمـا ، واذرعتهما العارية ورقبتاهما ، كلها تحمل أثر الأرض • تنبعث منهما رائحة الأرض • يقفان سويا لحظة أمام المنزل ، ثم كأنهمـــا مدفوعان بدافع واحد ، يحدقان بغباء فى السماء وهما يتكئان على فأسيهما• يكسو وجهيهما تعبير مكبوت لايلين • وعندما يتطلعـــان الى أعلا يلين هذا التعبير) •

سيميون : (معترفا رغم أنفه) رائعة .. !

بيتر : أجل .

سيميون : (فجأة) منذ ثمانية عشر عاما ..

بيتر : ماذا ؟

سيميون : جين زوجتى . توفيت ..

بيتر : كنت قد نسيت .

سيميون : انني أتذكرها من حين لآخر . وهذا يجعلني أشعر بالوحشة ، كان شعرها طويلا كذيل الحصان وأصفر كالذهب !

بيتر : حسنا .. لقد مضت (يقول الكلمات السابقة بحسم ودون تأثر — ثم يقول بعد برهة) سيم ، هناك ذهب في الغرب .

سيميون : (لا يزال واقعا تحت تأثير منظر الغروب — في شرود) في السماء ؟

بيتر : هيه .. ربما .. فهناك أرض الميعاد (يتزايد انفعاله) ذهب في السماء . في الغرب .. البوابة الذهبية .. كاليفورنيا ! . الغرب الذهبي ! حقول من الذهب !

سيميون : (منفعلا بدوره) هناك ثروات ترقد على سطح الأرض مباشرة في انتظار من يجمعها ! كنوز الملك سليمان ، كما يقولون !

(يواصلان التطلع الى السماء لحظة — ثم يخفضان من أنظارهما)

بيتر : (بمرارة تهكمية) وهنا .. توجد أحجار على سطح الأرض .. أحجار فوق أحجار .. لإقامة

الأسوار الحجرية .. وعاما بعد عام .: يقيم هو وأنت وأنا ثم ايبين أسوارا حجرية من أجله ليحبسنا داخلها !

سيمون : لقد اشتغلنا ، وهبنا قوتنا ، ومنحنا سنوات عمرنا .. حرثناها هنا تحت تلك الأرض .. (يضرب الأرض بقدمه فى ثورة) دب فينا العفن .. وجعلنا من كدنا التربة لمحاصيله ! (فترة صمت) حسنا .. ان المزرعة تساوى ثمنا طيبا بالنسبة لما حولها .

بيتر : لو اننا كنا نحرث فى كاليفورنيا ، لوجدنا هناك كتلا من ذهب بين الخطوط . !

سيمون : كاليفورنيا فى الجانب الآخر من الدنيا تقريبا ، وينبغى علينا أن نحسب حساب ..

بيتر : (بعد فترة صمت) وسيكون من الصعب على أيضا ، أن أترك ما اكتسبناه هنا بعرق الجبين .

(فترة صمت • يطل ايبين برأسه من نافذة حجرة الطعام ، وهو يصغى اليهما)

سيمون : أجل (بعد برهة) ربما .. يموت سريعا ..

بيتر : (فى شك) ربما ..

سيميون : بل من يدرى — لعله مات الآن !

بيتر : وما الدليل ؟

سيميون : لقد غادرنا منذ شهرين .. دون أى كلمة .

بيتر : غادرنا حين كنا فى الحقل فى مساء مثل هذا . أعد حوائجه وركب متجها الى الغرب . انه لأمر شاذ تماما ، فخلال ثلاثين سنة أو أكثر ، لم يغادر هذه المزرعة أبدا الا للذهاب للقرية ، لم يغادرها منذ تزوج أم ايبين (فترة صمت ، ثم فى خبث) أعتقد انه باستطاعتنا أن نجعل المحكمة تعلن جنونه ..

سيميون : لقد سلبهم أموالهم فى مهارة وتفوق عليهم جميعا، ولن يصدقوا مطلقا انه مجنون .
(فترة صمت) علينا أن ننتظر .. حتى نواريه التراب .

ايبين : (بضحكة ساخرة) أكرم أباك (يستديران ، مأخوذين ، ويحملقان فيه . يبتسم ، ثم يقطب) كم أتمنى لو مات . (يحملقان فيه . ويستمر فى كلامه بلهجة تقريرية) العشاء معد .

سيميون :
بيتر : } (سويا) أجل .

ايبين : (محملقا الى أعلا صوب السماء) ان غروب الشمس رائع ..

سيميون وبيتر : (سويا) أجل ، وهناك ذهب فى الغرب ..

آيبين : أجل (مشيرا) أتعنيان هناك عند قمة التـل الأخضر ؟

سيميون وبيتر : (سويا) بل فى كاليفورينا !

ايبين : اه ؟ (يحدق فيهما برهة دون مبالاه ، ثم يقول فى بطء) حسنا . العشاء سيبرد . (يستدير عائدا الى المطبخ) .

سيميون : (مأخوذا وهو يمصمص بشفتيه) اننى جوعان!.

بيتر : (متشمما) اننى أشم رائحة لحم خنزير !

سيميون : (باعجاب الجائع) ان لحم الخنزير طيب !

بيتر : (بنفس اللهجة) لحم الخنزير هو لحم الخنزير !

(يستديران وقد تلاصق كتفـــاهما ، ويصطدم جسداهما ويحتكان وهما يهرعان دون رشاقة الى طعامهما ، وكأنهما ثوران صديقان يهرعان الى وجبة عشائهما ... يختفيـــان حـــول الركن الأيمن للمنزل ، ويسمع صوتهما وهما يدخلان من الباب).

(ســـتار)

المنظر الثانى

يغيض لون السماء · ويبدأ الغسق · وتتضح الأشياء داخل المطبخ · تتوسطه مائدة من خشب الصنوبر ، وفى أقصى الركن الأيمن يوجد موقد طبخ ، وأربعة كراسى من الخشب غير متقنة الصنع ، وعلى المنضدة شمعة مصنوعة من دهن الحيوان · ويتوسط الحائط الخلفى، اعلان كبير ضخم مثبت فيه صورةمركب شراعى منشور القلوع ، ثم كلمة « كاليفورنيا » بحروف كبيرة · وتتدلى أوعيه المطبخ من مسامير · كل شىء مرتب ومنظم ، ولكن جو المكان أكثر ايحاء بمطبخ فى معسكرات الرجال منه بمطبخ منزل ·

(المنضدة معدة لثلاثة أشخاص · يتناول ايبين حبات بطاطس مسلوقة ولحم خنزير من على الموقد ، ويضعها على المائدة، ويضع كذلك رغيفا ، وقلة ماء · سيميون وبيتر يلقيان بنفسيهما على مقعديهما ، وقد تلاصق كتفاهما ، ولاينبسان بكلمة · ينضم ايبين اليهما · ويأكل الثلاثة لحظة فى صمت ، الاثنان الأكبر سنا منطلقان كما لو كانا حيوانين فى حقل · ايبين يتناول طعامه دون شهية ، وينظر اليهما فى كراهية وتسامح) ·

سيميون : (يتحول الى ايبين فجأة) اسمع ايبين .. لم يكن لك أن تقول ذلك .!

بيتر : لم يكن هذا صوابا .

ايبين : ماذا ؟

سيميون : أنك تمنيت موته.

ايبين : حسنا . ألا تتمنيان أنتما ذلك ؟ (فترة صمت) .

بيتر : انه أبونا .

ايبين : (بعنف) لا أعترف به أبا !

سيميون : (بجفاء) انك لم تكن لتسمح لغيرك أن يقول ذلك عن أمك ! ها ! (يرسل ضحكة مقتضبة ساخرة . ويبتسم بيتر) .

ايبين : (بشحوب شديد) لقد قصدت .. انني لست منه .. انني لا أشبهه . انه ليس مني ..

بيتر : (بجفاء) انتظر حتى تبلغ من العمر ما بلغ . !

ايبين : (بحدة) انني ابن أمي .. كل قطرة من دمي ! (فترة صمت . يحدقان فيه بفضول ولا مبالاة) .

بيتر : (مذكرا اياه) لقد كانت طيبة مع سيم ومعي . ومن النادر أن توجد زوج أب طيبة .

سيميون : لقد كانت طيبة مع الجميع .

ايبين : (في تأثر عميق ، ينهض على قدميه ، ويقوم بانحناءة غير رشيقة لكل منها — قائلا في تلعثم) اني شاكر لكليكما . أنا ابنها ، وريثها . (يجلس في اضطراب) .

بيتر : (بعد لحظة ، بتعقل) لقد كانت طيبة ، حتى معه .

ايبين : (فى وحشية) وردا لجميلها قتلها !

سيميون : (بعد لحظة) لا أحد يقتل اطلاقا أى شخص . بل يوجد دائما ثمة شيء ، وهذا الشيء هو الذى يقتل .

ايبين : ألم يستعبد أمى حتى الموت ؟

بيتر : لقد استعبد نفسه حتى الموت . استعبد سيم ، واستعبدنى ، واستعبدك حتى الموت .. كل ما فى الأمر ان أحدا منا لم يمت .. بعد .

سيميون : هناك شيء ما .. يدفعه .. لكى يدفعنا الى ..

ايبين : (متشفيا) حسنا . لن أتخلى عن قصاصى منه ! (ثم فى ازدراء) شيء ما ! ما هو ذلك الشيء ؟

سيميون : لا أدرى !

ايبين : (ساخرا) وما الذى يسوقكما الى كاليفورنيا اذن ؟ (يتطلعان اليه فى دهشة) أوه ، لقد سمعت حديثكما ! (ثم ، بعد برهة) ولكنكما لن تذهبا قط الى حقول الذهب !

بيتر : (مؤكدا) ربما !

ايبين : من أين ستحصلان على المال ؟

بيتر : باستطاعتنا السير . ان الطريق الى كاليفورنيا طويل .. ولكن لو أننا سلكنا خطواتنا على أرض هذه المزرعة جميعا فى سلسلة واحـدة ، لكنا وصلنا الآن الى القمر !

ايبين : سينزع الهنود فى السهول فروتى رأسيكما .

سيميون : (فى فكاهة عابسة) ربمـا تقاضيناهم شعرة بشعرة !

ايبين : (بتصميم) ولكن هذا لن يكون . فأنتما لن ترحلا أبدا لأنكما ستبقيان هنا لتحصلا عـلى نصيبكما من المـزرعة ، مؤملين دائما فى أنه سيموت عاجلا .

سيميون : (بعد برهة) ان لنا حقا فيها .

بيتر : يخصنا ثلثاها .

ايبين : (منتصبا على قدمه) ليس لكما أى حق فيها ! انها لم تكن أمكما ! لقـد كانت مزرعتها ! ألم يسلبها اياها ؟ وهى قد ماتت ، فأصبحت هذه مزرعتى .

سيميون : (فى تهكم) قل هذا للوالد .. بحين يعود !

وأراهنك على دولار أنه سيضحك .. لأول مرة في حياته . ها ! (ويضحك هو ضحكة واحدة خالية من المرح كأنها نباح) .

بيتر : (مسرورا بدوره ، مقلدا أخاه) ها !

سيميون : (بعد برهة) ايبين ، ما الذى يغيظك منا ؟ فى عينيك شىء شرير ظل يتربص بنا عاما بعد عام ..

بيتر : آجل .

ايبين : أجل . يوجد شىء ما (منفجرا فجأة) لماذا لم تحولا مطلقا بينه وبين أمى حين كان يعاملها كالعبيد ليعجل بذهابها الى قبرها . لماذا لم تردا اليها العطف الذى كانت تمنحه لكما ؟ (فترة صمت طويلة . يحدقان فيه فى ذهول) .

سيميون : حسنا . كان علينا أن نسقى الماشية .

بيتر : أو نقطع الأخشاب .

سيميون : أو نقوم بالحرث .

بيتر : أو الحصاد .

سيميون : أو رش السماد .

بيتر : أو اقتلاع الحشائش .

سيميون : أو تقليم الأشجار ..

بيتر : أو حلب الأبقار .

ايبين : (مقاطعا فى حدة) أو اقامة الأسوار ، ووضع حجر فوق حجر . ظللتما تقيمان الأسوار حتى أصبح قلباكما حجـرا من تلك الأحجار التى ترفعانها من طريق النبات حتى لا تعوق نموه ، حجرا أضفتماه الى سور حجرى .. وكان هذا السور حول قلبيكما .

سيميون : (بلهجة واقعية) لم يكن لدينا أبدا وقت نتدخل فيه بينهما .

بيتر : (الى ايبين) لقد كنت فى الخامسة عشرة قبل أن تتوفى أمك ، وكنت ضخما بالنسبة لسنك ، فلماذا لم تفعل أنت شيئا ؟

ايبين : (بخشونة) ألم يكن علىّ أن أؤدى شغل البيت؟ (فترة صمت — ثم ببطء) لم أفكر فى الأمر الا بعد أن ماتت . فقد كان على أن أطبخ وأؤدى أعمالها .. وهـذا ما جعلنى أحس حالتها .. وأقاسى ما قاسته .. وكأنى بها قد عادت من جديد لتمد يد المعونة .. عادت لتكوم البطاطس ، عادت لتحمر لحم الخنزير ، عادت لتخبز الفطائر ،

عادت وهى تتلوى من الألم لتقلب النار وتحمل الرماد ، والدموع تنهمر من عينيها اللتين بلون الدم من أثر الدخان والرماد مثلما كانتا دائما . انها لا تزال تأتى الى هنا .. وتقف الى جـوار الموقد هناك فى المساء .. فليس باستطاعتها أن تعرف ان الوضع الطبيعى لها أن تنام وتستقر فى سلام . ليس باستطاعتها أن تعتاد الحرية حتى فى قبرها .

سيميون : انها لم تفه بأى شكوى اطلاقا ..

ايبين : لقد كانت جد مرهقة ، ثم اعتادت هذا الارهاق الشديد . وهذا ما فعله بها (بانفعال وحقد) وعاجلا أو آجلا ، سأتدخل . سأقول له الأشياء التى لم أقلها حينذاك . وسأصرخ بها بأعـلى صوتى . وسأعمل على أن تجد أمى بعض الراحة والنوم فى قبرها .

(يجلس ثانية ، ويعود الى حالته السابقة فى تأمل صامت • ينظران اليه فى فضول غريب ، دون مبالاة) •

بيتر : (بعد لحظة) سيم ، الى أين تظنه ذهب ؟

سيمون : لا أدرى . لقد ركب مركبته ذات العجلات الأربع ، تلك الأنيقة الجديدة ، بفرسها النظيف المتألق ، ثم انطلق وهو يهتف بالفرس ويلوح لها بالسوط . اننى أذكر هذا جيدا جدا . كنت على وشك الانتهاء من الحرث ، كان الوقت ربيعا فى شهر مايو عند غروب الشمس وكان الذهب هناك فى الغرب ، وهو ينطلق بمركبته متجها اليه . وصحت .. « الى أين أنت ذاهب يا أبى ؟ » وتوقف هناك الى جوار السور الحجرى لحظة . كانت عيناه اللتان تشبهان عينى ثعبان عجوز تتألقان فى ضوء الشمس كما لو كان قد شرب دورقا بأكمله ، وقال وعلى وجهه ابتسامة كابتسامة البغل : « اياكم أن تهربوا حتى أعود ! » .

بيتر : أتراه كان يعلم برغبتنا فى الذهاب الى كاليفورنيا ؟

سيمون : ربما . فأنا لم أقل شيئا ، ولكنه كان يقول ، ونوع من الغرابة والسقم يبدو عليه : « لقد ظللت أسمع نقيق الدجاج وصياح الديكة طوال ذلك

اليوم الملعون . ظللت أصغى لخوار البقر ، وكل شيء آخر يرفع صوته بالشكوى ، حتى لم يعد فى مقدورى الاحتمال أى مدة أطول . انه الربيع ، وانى أشعر باللعنة حولى » . ثم يستطرد : « اللعنة التى تحيط بشجرة جوز عتيقة عارية لا تصلح الا للوقود » . واعتقد انه بدا على حينذاك شيء كبير من الأمل ، لأنه أضاف فى نشاط وحيوية شريرة : « ولكن لا تجعل أى فكرة حمقاء عن موتى تتبادر الى ذهنك . لقد أقسمت اننى سأعيش حتى أبلغ المائة ، وسأفعل حتى ولو لمجرد أن أفسد شرهكم الآثم . أما الآن فانى ذاهب لأتلقى رسالة الله لى فى فصل الربيع ، كما كان الأنبياء يفعلون . وعليك أنت أن تعود للحرث » . قال هذا ، وانطلق بمركبته وهو يترنم بأنشودة . كنت أحسبه سكرانا . والا لمنعته من الذهاب .

ايبين : (باحتقار) كلا ، لم تكن لتفعل ! فأنت تخافه ففى أعماقه قوة أكبر من قوتيكما مجتمعين .

بيتر : (متهكما) وأنت .. هل أصبحت شمشون ؟

ايبين : ان قوتى تتزايد .. اننى أحس بها فى داخلى .. تنمو وتنمو .. الى أن يأتى عليها الوقت الذى تنفجر فيه .. (ينهض يرتدى معطفه وقبعته . يراقبانه وتتسلل الابتسامات تدريجيا الى وجهيهما يتجنب ايبين نظراتهما فى مسكنة) اننى خارج لأستنشق الهواء .. هناك فى الطريق ..

بيتر : آذاهب الى القرية ؟

سيميون : لزيارة مينى ؟

ايبين : (فى تحد) أجل !

بيتر : (باستهزاء) المرأة الشهوانية !

سيميون : الشهوة .. ذلك هو الشىء الذى ينمو فى داخلك !

ايبين : ولم لا ، انها جميلة !

بيتر : منذ عشرين عاما وهى تدعى هذا الجمال !

سيميون : طبقة جديدة من الطلاء تجعل من امرأة فى الأربعين صبية صغيرة !

ايبين : انها ليست فى الأربعين !

بيتر : اذا لم تكن فانها تتأرجح على حافة الأربعين .

ايبين : (فى قنوط) ومن أدراك ؟

بيتر : كل ما هنـالك .. ان سـيم عرفها ، ثم عرفتها بعده ..

سيميون : وباستطاعة أبى أيضا أن يحكى عن نصيبه فيها ! لقد كان أولنا !

ايبين : هل تريد أن تقول انه .. ؟

سيميون : (مبتسما) أجل . نحن ورثته فى كل شىء . !

ايبين : (بقسوة) سيزيد هذا من قوتى ! سيزيد نماءها وستنفجر تلك القوة سريعا ! (بعـدئذ بعنف) سأحطم وجهها بقبضتى ! (يجذب الباب الخلفى بعنف فيفتحه) .

سيميون : (يغمز لبيتر ، ثم يقول فى تردد) ربما .. ولكن الليلة دافئة .. ورائعة ، وحين تصل اليها فربما تقبلها بدلا من ذلك !

بيتر : من المؤكد انه سيفعل !

(ينفجر كلاهما ضاحكا ضحكة ضـخمة خشنة . يندفع ايبين خارجا ويصـفق الباب ... وبعدئذ يصفق الباب الخارجى.. ثم يستدير حـول ركن المنزل ، ويتوقف عند البوابة ، وهو يحملق فى السماء) .

سيميون : (ناظرا فى اثره) مثل أبيه !

بيتر : صورة طبق الأصل منه !

سيميون : كلبان فليأكل أحدهما الآخر !

بيتر : أجل (فترة صمت . فى شوق) ربما نكون فى كاليفورنيا خلال سنة من الآن .

سيميون : أجل (فترة صمت .. يتثاءب كل منهما) فلنذهب الى الفراش .

(يطفىء الشمعة • يخرجان من البـــاب الخلفى • يمد ايبين ذراعيه تجاه الســماء ويقول فى ثورة) •

ايبين : هيه .. ذاك نجم هناك ، وفى مكان ما يوجد أبى ، بينما أنا هنا ، وهناك « مين » عند نهاية الطريق — تجمعنا جميعا ليلة واحدة . ماذا لو قبلتها ؟ انها تشبه هذه الليلة ، ناعمة ودافئة ، عيناها تومضان كالنجم ، فمها دافىء ، ذراعاها دافئتان ، ورائحتها كرائحة حقل دافىء محروث ، انهـا جميلة .. أجل ! وحق المولى القدير انها لجميلة ، ولن أعير أى اهتمام لعدد الخطايا التى اقترفتها قبلى ، ولا لأولئك الذين ارتكبت معهم خطاياها، ان خطيئتى رائعة مثل خطايا أى منهم !

(يخطو فى الطريق متجها الى اليسار)

المنظر الثالث

قمة الظلام قبل الفجر مباشرة ٠

(يدخل ايبين من ناحية اليسار ويستدير متجها الى السقيفة، انه يتحسس طريقه ، ويضحك فى مرارة ويسب بصوت شبه مرتفع) ٠

ايبين : البخيل العجوز الملعون ! (يمكن سماعه وهو يدخل من الباب الأمامى . فترة صمت بينما يصعد الدرج ، ثم طرقة عالية على باب مخدع الأخوة) استيقظا !

سيميون : (مرتبكا) من هناك ؟

ايبين : (يدفع الباب فينفتح ويدخل ، وفى يده شمعة مضاءة . ينكشف مخدع الاخوة . سقفه هو سقف البيت المنحدر . ولا يمكنهما الوقوف منتصبين الا ملاصقين للحائط الأوسط الذى يفصلهما عن الطابق العلوى . « سيميون » و « بيتر » فى فراش مزدوج فى مقدمة الغرفة . أما فراش « ايبين » فهو فى المؤخرة . على وجه

« ايبين » خليط من ابتسـامة غبيـة وتقطيبة شريرة) انه أنا !

بيتر : (بحنق) ماذا هناك بحق الجحيم ؟

ايبين : عندى أنباء لكما ! ها ! (يطلق ضحكة مبتورة ساخرة) .

سيميون : (غاضبا) ألم يكن باستطاعتك الاحتفاظ بها حتى ننال قسطنا من النوم ؟

ايبين : لقد أوشكت الشمس على الشروق (ثم منفجرا) لقد ذهب وتزوج مرة أخرى !

سيميون وبيتر : (فى انفجار) أبى ؟

ايبين : لقـد ارتبط بامرأة فى الخمسة والثـلاثين .. وجميلة ، كما يقولون ..

سيميون : (مذهولا) تلك كذبة دنيئة !

بيتر : من قال ذلك ؟

سيميون : كانوا يسخرون منك !

ايبين : أتظنني غبيا ؟ هذا ما تقوله القرية كلها . لقـد جلب الواعظ القادم من نيودوفر تلك الأنبـاء وأبلغها لواعظنا .. ونيودوفر هى المكان الذى

صيد فيه ذلك الوغد العجوز .. انها المكان الذى تقيم فيه تلك المرأة .

بيتر : (لم يعد متشككا بعد ، كالمأخوذ) حسنا .!

سيميون : (بنفس اللهجة) حسناً .!

ايبين : (يجلس على الفراش ، فى حقد خبيث) أليس شيطانا خرج من الجحيم ؟ لم يفعل هذا الا نكاية فينا .. ذلك البغل العجوز اللعين .

بيتر : (بعد برهة) سيؤول كل شيء لها الآن .

سيميون : أجل . (بعد برهة ، بغباء) حسنا .. اذا كان هذا قد حدث ..

بيتر : لقد خدعنا (فترة صمت ، ثم باقتناع) يوجد ذهب فى حقول كاليفورنيا يا سيم . لم تعد ثمة فائدة من البقاء هنا الآن .

سيميون : هذا بالضبط ما كنت أفكر فيه (بتصميم) خير البر عاجله ! فلننطلق هذا الصباح .

بيتر : هذا يلائمنى ..

ايبين : لابد وانكما تحبان المشى .

سيميون : (بتهكم) لو كان لك أن تمنحنا أجنحة لطرنا الى هناك !

ايبين : ربما تفضلان ركوب .. سفينة ، أليس كذلك ؟

(ينقب فى جيبه ويخرج فرخا مجعدا من الورق)

حسنا لو وقعتما عـلى هذا ، فبامكانكما أن تستقلا السفينة . لقد احتفظت بهذه الورقة مكتوبة ومعدة فى حالة اذا ما رغبتما فى الذهاب . انها تنص على أنكما توافقان فى مقابل ثلاثمائة دولار لكل منكما ، عـلى بيـع نصيبكما فى المزرعة لى .

(ينظران الى الورقة فى تشكك • بعد برهة).

سيميون : (فى استغراب) ولكن لو كان قد تزوج ثانية ..

بيتر : ولكن من أين جئت بتلك النقود ، على أية حال ؟

ايبين : (بدهاء) اننى أعرف المكان المخبأة فيه . لقد ظللت أنتظر . أخبرتنى أمى بمكانها .. لقـد ظلت تعرف مكانها طيلة سنوات ، ولكنها كانت تنتظر . لقد أصبحت ملكها الآن . تلك النقود التى اقتصدها من مزرعتها وأخفاها عنها . لقد صارت نقودى بمالى من حقوق .

بيتر : وأين مخبأها ؟

ايبين : (بدهاء) حيث لن يمكنك العثور عليها اطلاقا دون معونتى . لقد كانت أمى تتجسس عليه والا ما عرفت مكانها (فترة صمت . ينظران اليه فى ريبة ، وينظر هو كذلك اليهما) حسنا ، هل تتم الصفقة ؟

سيميون : لا أعرف .

بيتر : لا أعرف .

سيميون : (يتطلع من النافذة) أنوار الفجر ظهرت فى السماء .

بيتر : من الأفضل أن تشعل النار ايبين .

سيميون : وأن تهيىء بعض الطعام .

ايبين : أجل (ثم بمرح وود مفتعلين) سأعد لكما وجبة طيبة . ومادمتما ستذهبان سيرا الى كاليفورنيا فأنتما تحتاجان لشىء يسند معدتيكما . (يستدير ناحية الباب ، ويضيف بلهجة ذات مغزى) ولكن بامكانكما أن تستقلا السفينة اذا أتممتما الصفقة. (يتوقف عند الباب ويتردد . يحملقان فيه) .

سيميون : (بريبة) أين كنت طوال الليل ؟

ايبين : (فى تحد) هناك عند « مين » . (ثم ببطء)

أثناء سيرى الى هناك ، أحسست بادىء الأمـــر انني سأقبلها ، ثم أخذت أفكر فيما قلتما عنا وعنها ، وقلت ، سأحطم أنفها من أجل ذلك ! وبعدئذ ذهبت الى القرية وسمعت الأخبار وتزايد جنونى وهياجى ، وأخذت أجرى طوال الطريق الى بيت « مين » دون أن أدرى ماذا سأفعل . (يتوقف لحظة ، ثم بغباء ولكن فى تحد أكثر) حسنا . حـــين رأيتها ، لم أضربها .. وكذلك لم أقبلها .. بدأت أخـــور كالعجل وأسب فى الوقت نفسه ، كنت فى أقصى حالات الغضب وشعرت هى بالرعب .. وحينئذ جذبتها الى وأخذتها (بفخر) أجل أيها السيدان أخذتها . ربما كانت ملكه .. وملككما أيضا ، ولكنها ملكى الآن .

سيميون (بجفاء) أنت تحبها ، أليس كذلك ؟

ايبين (باحتقار وتكبر) الحب ! .. اننى لا أحفل مطلقا بمثل تلك النفاية !

بيتر : (غامزا لسيميون) ربما يرنو ايبين الى الزواج هو الآخر .

سيميون : ستكون « مين » شريكة صادقة مخلصة للجميع !

(يطلقان ضحكة مكتومة)

ايبين : وماذا يهمنى من أمرها ، سوى أنها ملفوفة القوام ودافئة ؟ المسألة انها كانت ملكه .. أما الآن فهى ملكى أنا ! (يذهب الى الباب ، ثم يستدير فى تحد) و « مـين » ليست امرأة سيئة . اننى أراهنكم أن فى العالم من هن أسوأ من « مين » ! فلننتظر حتى نرى تلك البقرة التى تعلق بهـا الرجل العجوز ! عندى احساس بأنها ستفوق « مين » . (يتأهب للخروج) .

سيميون : (فجأة) ربما ستحاول أن تمتلكها هى الأخرى ؟

بيتر : ها .. ! (يطلق ضحكة ساخرة منتشيا من تلك الفكرة) .

ايبين : (يبصق باشمئزاز) هى .. هنا .. وتشـاطره الفراش .. وتسرق مزرعة أمى ! أهون علىّ أن أدلل ظربانا ، أو أقبل ثعبانا ! (ينصرف . يحملق الاثنان فى أثره بريبة . فترة صمت . ينصتان الى وقع خطواته وهى تخفت) .

بيتر : لقد بدأ اشعال النار .

سيميون : كنت أود أن أركب الى كاليفورنيا ولكن ..

بيتر : ربما تكون « مين » قد أوحت اليه بخطة ما .

سيميون : وربما كان ما يتعلق بزواج أبى كله كذبا .. يحسن بنا أن نبقى لنرى العروس .

بيتر : وعلينا ألا نوقع شيئا حتى نرى ..

سيميون : وليس قبل أن نتأكد من ان الصفقة رابحة ! (ثم بابتسامة) ولكن لو كان أبى قد تزوج فاننا سنبيع لايبين شيئا لن نملكه قط ..!

بيتر : سننتظر ونرى (ثم بغضب حقود مفاجىء) وحتى يعود ، فلنمتنع أنا وأنت عن عمل أى شىء على الاطلاق ، ولندع « ايبين » يقوم بالعمل اذا أراد ، علينا فقط أن ننام ونأكل ونحتسى الخمر ، ولتذهب هذه المزرعة اللعينة بكاملها الى جهنم !

سيميون : (مستثارا) بحق الاله اننــا نستحق الراحة ! سنلعب دور الأغنياء لفترة . لن أتحرك من فراشى حتى يتم اعداد الافطار ..

بيتر : بل وحتى يوضع على المائدة !

سيميون : (بعد برهة ، فى تفكير) ماذا تعتقد سيكون

شكلها .. أمنا الجديدة ؟ هل ستكون كما يتصور « ايبين » ؟

بيتر : محتمل جدا .

سيميون : (بحقد) حسنا .. كم أتمنى أن تكون كأنثى الشيطان حتى لتجعله يرغب فى أن يموت ثم يحيا فى حفرة من جهنم ، لعله يحصل على الراحة !

بيتر : (بحماس) آمين !

سيميون : (مقلدا صوت أبيه) كان يقول « اننى ذاهب لأتلقى رسالة الله لى فى فصل الربيع ، مثلما كان الأنبياء يفعلون » . واننى أراهن انه كان يعلم جيدا حينذاك انه كان ذاهبا ليمارس الرذيلة ، ذلك العجوز المنافق النتن !

المنظر الرابع

نفس المنظر الثانى ـ المشهد داخل المطبخ ، وهناك شمعة موقدة على المنضدة . فى الخارج ضوء الفجر الرمادى .

(سيميون وبيتر قد فرغا لتوهما من افطارهما . ايبين يجلس أمام صفحته التى لم يمس طعامها ، وهو مستغرق فى تفكير عابس)

بيتر : (ينظر اليه بشىء من الضيق) ان الاكتئاب لا يفيد أبدا ..

سيميون : (بسخرية) انه حزين بعد شهوة الجسد .

بيتر : (بابتسامة) هل كانت أول امرأة عرفتها ؟

ايبين : (بغضب) ليس هذا من شأنكما . (بعد برهة) لقد كنت أفكر فيه . لدى احساس بأنه يقترب من هنا .. بامكانى أن أحس باقترابه ، كما تستطيعان أن تحسا برعدة الملاريا قبل أن تصيبكما .

بيتر : لا زال الوقت مبكرا بالنسبة لعودته .

سيميون : لا أدرى . انه يحب أن يفاجئنا ونحن لاهون .. حتى يتوافر لديه شىء ما يوبخنا من أجله .

بيتر : (ينهض آليا على قدميه ، ويفعل سيميون مثله) حسنا . فلنستأنف العمل !

(يسير كلاهما فى تثاقل ناحية الباب دون ان يدركا انهما يفعلان ذلك . ثم يتوقفان فجأة)

سيميون : (مبتسما) « بيت » ، أنت غبى ملعون . وأنا أسوأ منك ! فليراننا لا نعمل ! فنحن لا نأبه به مثقال ذرة !

بيتر : (بينما يعودان الى المنضدة) ولا مثقال ذرة ملعونة ! سيفيدنا هذا ، لأنه سيريه اننا لم نعد نهتم به . (يجلسان ثانية . يحدق ايبين فيهما من واحد للآخر مندهشا) .

سيميون : (مبتسما له) اننا نصبوا أن نكون زهرتى سوسن فى الحقل !

بيتر : ولن نضع أيدينا فى أى شغل أو فتل حبال ولن نبذل أى مجهود أو نقوم بأى عمل !

سيميون : أنت المالك الوحيد .. الى أن يصل .. وهذا ما أردته . حسنا ، عليك اذن أن تكون العامل الوحيد .

بيتر : ان خوار الأبقار يرتفع عاليا ، يجدر بك أن تسرع لحلبها ..

ايبين : (بفرح المستثار) أتعنيان أنكما ستوقعان الورقة ؟

سيميون : (بجفاء) ربما .

بيتر : ربما .

سيميون : اننا تتدبر الأمر . (بلهجة قاطعة) يحسن بك أن تبدأ العمل ..

ايبين : (بفرحة غريبة) لقد صارت مزرعة أمي ثانية ! صارت مزرعتي ! تلك أبقاري ؟ سأحلب حتى تتقطع أصابعي تماما ، فقد صارت الأبقار أبقاري ! (يخرج من الباب الخلفي يحدقان فيه دون مبالاة) .

سيميون : انه كأبيه .

بيتر : صورة طبق الأصل منه !

سيميون : حسنا .. كلبان فليأكل أحدهما الآخر !

(يخرج ايبين من الباب الأمامي ويستدير حول ركن المنزل. تبدأ السماء في الاحمرار مع اشراق الشمس ... يتوقف ايبين عند

البوابة ويحملق فيما حواليه بعينين متألقتين فيهما روح التملك . يشمل المزرعة كلها بنظرته المحتضنة الراغبة) .

ايبين : انها رائعة ! انها فى غاية الروعة ! انها ملكى !
(فجأة يقذف برأسه الى الوراء فى جسارة ، ويتطلع الى السماء بعينين فيهما صلابة وتحد) .
انها ملكى ، هل تسمعين ؟ ملكى أنا !

(يستدير ويسير مسرعا من جهة اليسار ، الى المؤخرة متجها الى الحظيرة . يشعل الشقيقان غليونيهما)

سيميون : (يضع حذاءه الموحل ذا الرقبة فوق المنضدة ، ويميل بكرسيه الى الوراء ، وينفث الدخان فى تحد) حسنا .. هذه هى الراحة الحقيقية .. للمرة الأولى .

بيتر : أجل (يفعل مثله . فترة صمت . ولاشعوريا يتنهد الاثنان) .

سيميون : (فجأة) انه لم يكن أبدا بارعا فى حلب الأبقار ، لم يكن ايبين أبدا كذلك ..

بيتر : (زافرا فى احتقار) ان يديه كالحوافر ! (فترة صمت) .

سيميون : انزل الاناء الذى هناك ! فلنتناول جرعة ! اننى أشعر ان مزاجى ليس على ما يرام .

بيتر : فكرة طيبة ! (يفعل ما طلب اليه ، يحضر كوبين ، ويصبان جرعات من الويسكى) .
نخب الذهب الذى فى كاليفورنيا !

سيميون : ونخب حظ سعيد فى العثور عليه ! (يشربان ، ينفثان الدخان فى تصميم ، يتنهدان ، ينزلان قدميهما من فوق المنضدة) .

بيتر : لا يبدو على الشراب انه من نوع جيد .

سيميون : اننا لسنا معتادين على تناوله فى مثل هذه الساعة المبكرة (فترة صمت ، ثم يبدو عليهما القلق الشديد) .

بيتر : اننا سنختنق فى هذا المطبخ .

سيميون : (بارتياح كبير) فلنتنسم الهواء فى الخارج .

(ينهضان فى نشاط ،ويخرجان من الخلف، يظهران حول المنزل ، ثم يتوقفان بجوار البوابة . يحدقان فى السماء فى اعجاب صامت) .

بيتر : رائعة !

سيميون : أجل .. فالذهب فى الشرق الآن .

بيتر : سترافقنا الشمس الى الغرب الذهبى .

سيميون : (يحدق فيما حول المزرعة ، ويزداد انطباق شفتيه المضمومتين ، وهو غير قادر على اخفاء انفعاله) هيه .. ربما كان هذا آخر صباح لنا .

بيتر : (بنفس اللهجة) أجل .

سيميون : (يضرب الأرض بقدمه ، ويخاطبها فى يأس) هيه ، لقد انتزعت من عمرى ثلاثين عاما دفنت فيك ، وانتشرت فوقك ، ثلاثين عاما من الدم والعظم والعرق . ثلاثون عاما أصابها العفن لتبعث خصوبتك ، وتبث الغنى فى تربتك ، وتكون سمادك الأول ، هذا ، والله ، ما كنته بالنسبة لك !

بيتر : أجل ! وأنا أيضا !

سيميون : وأنت أيضا ، بيتر . (يتنهد ثم يبصق) هيه ، لا فائدة من البكاء على لبن سكب .

بيتر : هناك فى الغرب يوجد الذهب ، وربما الحرية . لقد كنا عبيد تلك الأسوار الحجرية هنا .

سيميون : (بتحد) لن نكون عبيدا لأحـد بعد اليوم ، ولا عبيدا لشيء كذلك (بعد برهة ، فى قلق) حديثك عن اللبن ذكرنى ، ترى كيف يتصرف ايبين الآن مع الأبقار ؟

بيتر : اعتقد أنه سينجح معها .

سيميون : ربما كان ينبغى علينا أن نساعده ، ولو هذه المرة .

بيتر : ربما ، فالأبقار تألفنا .

سيميون : وتحبنا ، فهى لا تعرفه جيدا .

بيتر : وكذلك الخيل ، والخنازير ، والدجاج . انهـا لا تعرفه جيدا .

سيميون : انها تألفنـا كأخوتها .. وتحبنا ! (بفخـر) ألم نكن نحن الذين رعيناها لتكون من الدرجة الأولى ، ولتفوز بالجائزة الأولى للسلالات ؟

بيتر : ولكنا لم نعد كذلك ، ولن نكون بعد ذلك .

سيميون : (بكآبة) لقد نسيت . (ثم باستسلام) حسنا ، فلنذهب لنساعد ايبين بعض الوقت ، ولنترك هذا الكسل .

بيتر : موافق .

(يبدآن فى السير الى اليسار ثم الى الخلف، متجهين الى الحظيرة ، وحينئذ يظهر ايبين من هناك مسرعا تجاههما ، وعلى وجهه يبدو الاضطراب) .

ايبين : (مبهور الأنفاس) هاهما قد وصلا ! البغـل العجـوز وعروسه ! لقد رأيتهما من الحظيرة هناك عند المنحنى ..

بيتر : وكيف أمكنك معرفتهما على هذا البعد ؟

ايبين : ألست طويل النظر بقدر ما هو قصـــيره ؟ ألا أعرف الفرس والمركبة وشخصين جالسين فيها ؟ من يكونا غيرهما .. ؟ وقد قلت لكما اننى أستطيع أيضا أن أحس بقدومهما ! (يتلوى كالمصاب بالجرب) .

بيتر : (وقد بدأ ينتابه الغضب) ليكن ، اذن دعه يفك فرسه بنفسه !

سيميون : (وقد بدأ ينتـابه الغضب أيضا) فلنهرع الى الداخل ونحضر حاجياتنا وننصرف ما دام قد أتى . فليست لدى أى رغبة فى أن أطأ عتبة هذا البيت مرة أخرى ما دام قد عاد !

(يبدأ كلاهما فى العودة دائرين حول ركن المنزل ، ويتبعهما ايبين) .

ايبين : (بقلق) هل ستوقعان عليها قبل انصرافكما ؟

بيتر : دعنا نرى نقود ذلك العجوز المقتر ، وحينئذ سنوقع .

(يختفون ناحية اليسار • يصعد الشقيقان السلم لاحضار متاعهما • يظهر ايبين فى المطبخ ، يهرع الى النافذة ، ويسترق النظر الى الخارج ، يعود ويرفع لوحا من الارضية تحت الموقد ، ويخرج حقيبة من القماش السميك ويضعها على المنضدة ، وبعدئذ يضع اللوح الخشبى فى مكانه من الارضية• يظهر الشقيقان بعد ذلك بلحظة • يحملان حقيبتين من قماش السجاد القديم) •

ايبين : (يضع يده على الحقيبة فى تيقظ) هل وقعتما ؟

سيميون : (يظهر الورقة فى يده) أجل . (بشراهة) هل هذه هى النقود ؟

آيبين : (يفتح الحقيبة ويفرغ كومة من النقود الذهبية من فئة العشرين دولارا) .

قطع من ذات العشرين دولارا ، ثلاثون قطعة . أحصياها . (بيتر يفعل ، ويرتبها فى رصات من خمس قطع ، يعض قطعة أو اثنتين ليختبرها) .

بيتر : ستمائة (يضع النقود فى كيس ، ويضعه فى عناية داخل قميصه) .

سيميون : (مناولا الورقة لايبين) ها هى ورقتك .

ايبين : (بعد أن يلقى عليها نظرة ، يطبقها بعناية ويخفيها تحت قميصه ، بامتنان) شكرا لكما .

بيتر : شكرا لك على أجرة الركوب .

سيميون : سنرسل اليك سبيكة ذهب فى عيد الميلاد . (فترة صمت . يحدق فيهما ويفعلان هما نفس الشيء) .

بيتر : (فى اضطراب) طيب ، نحن ذاهبان .

سيميون : هل ستخرج الى الفناء ؟

آيبين : كلا .. سأبقى هنا بعض الوقت . (فترة صمت أخرى . الشقيقان يحاذيان الباب الخلفى فى تهور ، ثم يستديران ويقفان) .

سيميون : وداعا .

بيتر : وداعا .

ايبين : وداعا .

(ينصرفان . يجلس بجوار المنضدة ، فى مواجهة الموقد ، ويخرج الورقة . ينقل

نظره منها الى الموقد . يضىء وجهـــه الذى يكتسيه ذهول ، شعاع من الشمس ينبعث من النافذة . وتتحرك شفتاه . ويصـــل الشقيقان الى البوابة الخارجية) .

بيتر : (يتطلع بناظريه تجاه الحظيرة) انه هناك ، يفك فرسه .

سيميون : (بضحكة خشنة) أراهنك انه غاضب !

بيتر : وها هى ذى تلك .

سيميون : فلننتظر حتى نرى كيف تبدو أمنا الجديدة .

بيتر : (مبتسما) ولكى نصب عليه لعنة رحيلنا !

سيميون : (مبتسما) أحس بنفسى ميلا للسخرية ، وأحس بانطلاقة فى ذهنى وقدمى .

بيتر : وأنا أيضا . أحس أن بى رغبة فى الضحك حتى انشطر نصفين .

سيميون : أتظن ذلك من أثر الشراب ؟

بيتر : كلا ، فقدماى تتحرقان شـــوقا الى أن تسيرا وتسيرا ، وأن تقفز عاليا فوق الأشياء وأن ..

سيميون : ترقصا ؟ (فترة صمت) .

بيتر : (محيرا) انه لشىء فى منتهى الغرابة .

سيميون : (وضوء يشيع فى وجهه) أعتقد ان سبب ذلك

ان المدرسة قد أغلقت أبوابها . انها العطلة . نحن أحرار للمرة الأولى !

بيتر : (مشدوها) أحرار ؟

سيميون : لقد تحطم الرسن ، وتفسخ العنان ، وانثنت قضبان الحاجز ، وأخذت الأسوار الحجرية تتقوض وتتهاوى ! سوف نضرب بأرجلنا ، وننطلق بأقصى سرعة فى الطريق !

بيتر : (يأخذ نفسا عميقا — بلهجة خطابية) من شاء أن يمتلك هذه المزرعة ، هذه الكومة العجوز النتنة من الحجارة ، فليفعل . انها لم تعد ملكنا الآن ، كلا لم تغد يا سادة !

سيميون : (يخلع البوابة من مفصلاتها ويضعها تحت ذراعه) ونحن بمقتضى هذا القانون نلغى البوابات المغلقة والبوابات المفتوحة ، وكل البوابات ، قسما بالرعد !

بيتر : سنأخذها معنا لتجلب لنا الحظ ، ثم نلقيها بعد ذلك فى أحد الأنهار لتسبح طليقة .

سيميون : (حين تتناهى اليه أصوات بشرية تأتى من جهة اليسار ، من الخلف) لقد وصلا ! (ينقلب

الشقيقان الى تمثالين جامدين متجهمى الوجه .
يدخل افراييم كابوت وآبى بوتنام .

كابوت فى الخامسة والسبعين ، طويل ونحيل ، به قوة ضخمة عنيفة مختزنة ، ولكن كتفيه منحنيتان من أثر العمل الشاق . وجهه جامد كما لو كان قد من الصخر ، ولكن به شيئا من ضعف ، ولونا من الكبرياء الوضيعة فى ثنايا قوته الضيقة الأفق . عيناه ضيقتان ، متقاربتان ، قصيرتا النظر الى أقصى حد ، تطرفان باستمرار وهما تجهدان فى التركيز على الأشياء ، نظراتهما فيها شىء مجهد منكفىء على ذاته . انه يرتدى حلة يوم الأحد السوداء المقبضة . آبى فى الخامسة والثلاثين ، ممتلئة الجسم ، تفيض بالحيوية . وجهها المستدير رائع ، ولكن يشوه من جماله تعبير الشهوة المتدفقة الذى يرتسم عليه . فكها يدل على القوة وصلابة الرأى ، وفى عينيها اصرار قاس ، ويغلف شخصيتها بشكل عام نفس مظهر القلق ، والتوحش والاندفاع الذى يبدو واضحا عند ابين) .

كابوت : (أثناء دخولهما ، وفى صوته الجاف المشروخ انفعال غريب مكبوت) ها نحن قد جئنا الى البيت ، آبى .

آبى : (باشتياق للكلمة) البيت ! (عيناها تتفحصان المنزل دون أن يبدو عليها رؤية الشخصين المتصلبين عند البوابة) انه رائع ، رائع ! لا أكاد أصدق انه ملكى حقا !

كابوت : (بحدة) ملكك ؟ انه ملكى أنا ! (يحدق فيها بنظرات نفاذة . وتحملق هى فيه . فيضيف وقد رق صوته) ربما ملكنا نحن الاثنين ! لقد ظل موحشا فترة أطول مما ينبغى . طالما شعرت بالهرم كل ربيع . وقلت ان البيت لابد أن تكون له امرأة .

آبى : (وفى صوتها رنة الامتلاك) والمرأة لابد أن يكون لها بيت !

كابوت : (يهز رأسه فى حيرة) أجل . (ثم فى انزعاج) أين هم ؟ ألا يوجد أحد هنا ، يشتغل ، أو يعمل أى شىء ؟

آبى : (ترى الشقيقين ، فترد على نظرة الازدراء

الباردة التى يلقيانها اليها فى اهتمام ، ثم تقول ببطء) هناك رجلان يتسكعان عند البوابة . ويحدقان فى ، كما لو كانا زوجا من الخنازير الضالة .

كابوت : (مجهدا عينيه) أستطيع رؤيتهما ، ولكنى لا أميزهما .

سيميون : أنا سيميون .

بيتر : وأنا بيتر .

كابوت : (فى ثورة) لم لا تشتغلان ؟

سيميون : (بجفاء) كنا ننتظر عودتك الى البيت للترحيب بك .. وبالعروس !

كابوت : (فى ارتباك) هه ؟ حسنا .. تلك هى أمكم الجديدة ، يا أولاد .

(تتبادل معهما النظرات)

سيميون : (يستدير بعيدا ، ويبصق على الأرض فى احتقار) اننى أراها !

بيتر : (يبصق هو الآخر) وأنا أيضا أراها !

آبى : (وقد تملكها احساس التفوق الذى يكون للمنتصر) سأدخل وألقى نظرة على بيتى ،

(تذهب ببطء وتستدير حول السقيفة) .

سيميون : (مع زفرة احتقار) بيتها !

بيتر : (منـاديا عليها) سنجدين ايبين بالداخـل ، ويحسن بك ألا تقولي له ان هذا بيتك .

آبي : (وهي تتشدق بالاسم) ايبين (ثم بهدوء) بل سأقول لايبين .

كابوت : (بابتسامة ازدراء) لست في حاجة الى الاكتراث بايبين . فايبين ليس الا أبله غبيا ، كأمه تماما ، رخو وساذج !

سيميون : (بضحكته الساخرة المتفجرة) ها ! ان ايبين قطعة منك ، صورة طبق الأصل ، صلب مرير كشجرة الجوز ! كلبان ، فليأكل أحدهما الآخر . وسيأكلك أنت ، أيها العجوز !

كابوت : (بلهجة آمرة) اذهب للعمل !

سيميون : (اذ تختفي آبي داخل المنزل ، يغمز لبيتر ويقول في لهجة مهينة) اذن فهذه هي أمنا الجديدة ؟ أيمكن أن تكون هي هـذه ؟ من أي مكان في الجحيم أتيت بها ؟

(يضحك مع بيتر)

بيتر : ها ! من الأفضل لك أن تحجزها فى الحظيرة مع اناث الخنــازير الأخرى . (يضحكان فى صوت راعد ، وهما يخبطان فخذيهما) .

كابوت : (وقد تملكه الذهول من وقاحتهما حتى أنه يتلعثم فى اضطراب) سيميون ! بيتر ! ماذا جرى لكما ؟ أمخموران ؟

سيميون : بل اننا أحرار ، أيها العجوز . أحرار منك ومن كل تلك المزرعة اللعينة !

(تتزايد فرحتهما ونشوتهما)

بيتر : وسنبدأ رحلتنا الى مناجم الذهب فى كليفورنيا !

سيميون : سننزل لك عن هذا المكان ، فلتحرقه ان شئت !

بيتر : ثم تدفنه ، فما عدنا نأبه به !

سيميون : لقد صرنا أحرارا ، أيها العجوز ! (يرقص حول نفسه مرحا) .

بيتر : صرنا أحرارا ! (يضرب الهواء بقدمه) .

سيميون : (وكأن مسا أصابه) هوب !

بيتر : هوب ! (يرقصان رقصة حرب هندية مضحكة حول الرجل العجوز ، الذى يقف مذهولا بين غضبه وبين خوفه أن يكونا قد جنا) .

سيميون : لقد صرنا أحرارا كالهنود ! أنت محظوظ لأننا لا ننزع فروة رأسك !

بيتر : ولأننا لا نحرق حظيرتك ونقتل ماشيتك !

سيميون : ولأننا لا نغتصب زوجتك الجديدة ! هوب ! (يتوقف هو وبيتر عن رقصتهما ، ويمسكان بجنبيهما وهما يتمايلان من الضحك الوحشى) .

كابوت : (وهو يبتعد عنها) انها شهوة الذهب ، شهوة ذهب كاليفورنيا السهل الملوث بالخطيئة ، لقد أصابتكما تلك الشهوة بالجنون !

سيميون : (بسخرية) ألا تحب أن نرسل لك بعضا من الذهب الملوث بالخطيئة ، أنت أيها الخاطىء العجوز ؟

بيتر : ها هنا ذهب آخر غير ذهب كاليفورنيا ! (يتقهقر حتى يصبح بعيدا عن رؤية العجوز ، ثم يتناول حقيبة النقود ، ويطوحها فى الهواء حول رأسه ، وهو يضحك) .

سيميون : وأكثر تلوثا بالخطيئة !

بيتر : سنرحل عن طريق البحر ! هوب ! (يقفز الى أعلا ثم ينزل) .

سيميون : وسنعيش أحرارا ! هوب ! (يقفز بدوره).

كابوت : (يزأر فجأة غاضبا) لتحل لعنتى عليكما !

سيميون : اليك لعناتنا فى مقابلها ! هوب !

كابوت : ستقيدان بالسلاسل وترسلان الى مستشفى الأمراض العقلية !

بيتر : أنت أيها المقتر العجوز ! وداعا !

سيميون : أيها العجوز مصاص الدماء ! وداعا !

كابوت : اذهبا قبل أن ..

بيتر : هوب ! (يلتقط حجرا من الطريق . ويفعل (سيميون مثله) .

سيميون : لابد أن أمى الآن فى غرفة الجلوس .

بيتر : أجل ! واحد ! اثنان !

كابوت : (خائفا) ماذا تفـ .. ؟

بيتر : ثلاثة ! (يقذف كلاهما الحجرين ، يضرب الحجران نافذة غرفة الجلوس ، ويسمع صوت تحطيم زجاج ، وتتمزق الستائر) .

سيميون : هوب !

بيتر : هوب !

كابوت : (وقد تملكته الآن نوبة غضب ، يندفع تجاههما)

لو أستطيع وضع يدى عليكما ، اذن لحطمت عظامكما !

(لكنهما يتقهقران أمامه وهما يرقصـــان ، ولا زالت البوابة تحت ابط ســـيميون · يعود كابوت ، وهو يلهث فى غضب عاجز ، وتتحول اصواتهما وهما يبتعدان الى اغنية الباحثين عن الذهب ، على النغمة القديمـة لاغنية « أوه ، سوزانا ! ») ·

قفزت على ظهر السفينة ليزا
وسافرت على ظهر الماء
وكلما انتابنى الحنين الى الديار
تمنيت لو لم أكن أنا المسافر !
أوه ! كاليفورنيا ،
تلك أرضى الموعودة !
اننى راحل الى كاليفورنيا !
وعلى ركبتى حوض غسيلى !

(فى نفس الوقت تفتح نافذة غرفـة النوم العليا التى الى اليمين ، وتطل آبى برأسها منها · تتطلع الى اســفل حيث كابوت ، وتطلق زفرة ارتياح) ·

آبى : هيه — الآن انتهينا من هذين ، أليس كذلك ؟

(لا يجيب ، وبعدئذ تستطرد فى لهجة تملك)
هنا غرفة نوم بديعة يا افراييم .. وفراش بالغ
الروعة . أهذه حجرتى يا افراييم ؟

كابوت : (بعبوس ، دون أن ينظر الى أعلا) حجرتنا !
(لا تستطيع أن تخفى امتعاضة مقت ، فتدخل
رأسها ببطء ، ثم تغلق النافذة .. يبـدو كما
لو أن فكرة مريعة مفاجأة قد تسللت الى ذهن
كابوت) لقد كانا يدبران شيئا ما ! يحتمل ..
يحتمل أن يكونا قد سمما الماشية . أو شيئا من
هذا القبيل !

(يكاد يهرع فى اتجاه الحظيرة . بعد لحظة،
يدفع باب المطبخ فينفتح ببطء ، وتدخـل
آبى . تبقى لحظة وهى تتطلع الى ايبين .
فى البداية لايلحظها . تتفحصـه بنظرة
نفاذة بعينيها وهى تحسب مقـدار قوته
بالنسبة لها . ولكن تحت هـذه النظرة
تتيقظ فيها رغبة غامضـة تثيرها قوته
وحسنه . يحس بوجودها فجـأة ويرفع
باصريه . تتلاقى اعينهما . يقفز واقفا على
قلميـه وهو يحـدق فيها دون ان يلفظ
بكلمة) .

آبى : (بأقصى ما تستطيع من اغراء ، وتظل تستعمل هـذه اللهجة طوال هـذا المنظر) . هل أنت ايبين ؟ أنا آبى .. (تضحك)أقصد ، أنا أمك الجديدة .

ايبين : (فى حقد) كلا ، عليك اللعنة !

آبى : (كما لو أنها لم تسمع ، بابتسامة غريبة) لقـد تحدث والدك كثيرا عنك ..

ايبين : ها !

آبى : لا تكترث به ، انه رجل عجوز (فترة صمت طويلة يحدق خلالها كل منهما فى الآخر) ايبين ، اننى لا أود أن ألعب دور الأم معك (باعجاب) فأنت أكبر من هذا سنا ، وأضخم جسدا . انى أود أن أكون لك صديقة . وربما ، اذا اتخذتنى صديقة ازدادت رغبتك فى البقاء هنا . وربما أستطيع أن أسوى ما بينك وبينه (بازدراء من يحس بقوته) اعتقد اننى أستطيع حمله على أن يقوم بعمل أى شىء تقريبا من أجلى .

ايبين : (باحتقار مرير) ها ! (يتبادلان النظرات ثانية ، ايبين يحركه احساس غامض ، ويجد نفسه منجذبا

الى جسدها ، فيتكلم بطريقة مفتعلة) اذهبى الى الشيطان !

آبى : (بهدوء) اذا كانت لعناتك لى تسبب لك ارتياحا فالعنى ما شئت ! قد توقعت تماما أن تعادينى — فى البداية . وأنا لا ألومك على ذلك أيضا . أنا نفسى كنت أشعر نفس الشعور تجاه أى غريب يأتى ليحتل مكان أمى . (يرتعد ، ترقبه بعناية) لا شك انك كنت تكن الكثير من الحب لأمك ، أليس كذلك ؟ لقد ماتت أمى قبل أن أكبر . وأنا لا أذكرها بالمرة (بعد برهة) ولكنك لن تكرهنى طويلا ، يا ايبين . اننى لست أسوأ امرأة فى العالم. وأنت وأنا حظوظنا أشباه . أستطيع أن أدرك هذا من مجرد التطلع اليك . هيه ، لقد عشت أنا الأخرى حياة قاسية .. محيطات من المتاعب ، وما من جزاء سوى العمل. لقد يتمت فى سن مبكرة ، وكان علىّ أن أعمل للآخرين فى بيوت الآخرين . وبعد ذلك ، تزوجت ، واتضح لى انه يدمن الخمر ، وهكذا كان عليه أن يشتغل عند الآخرين ، وكان علىّ

أنا أيضا أن أشتغل مــرة أخــرى فى بيوت الآخرين ، وتوفى طفلنا ، وأصاب المرض زوجى ، ثم توفى هو الآخر . وتملكنى السرور ، وقلت لنفسى ، ها أناذي قد أصبحت حرة لأول مرة ، ولكنى اكتشفت بعد ذلك أن حريتى كانت تنحصر فقط فى العمــل مرة أخرى فى بيــوت الآخرين ، وظللت أؤدى العمل للآخرين ، فى بيوت الآخرين ، حتى كدت أفقد الأمل فى أن أقوم يوما بتأدية عملى الخاص فى بيتى الخاص ، وعندئذ جاء أبوك ..

(يظهر كابوت ، عائدا من الحظيرة · يسير الى البوابة ، ثم يتطلع فى الطريق الذى ذهب منه الشقيقان · يسمع تردد ضــــئيل من أصواتهما المتقهقرة : « أوه ، كاليفورنيا · تلك هى أرضى الموعودة » · يقف محدقا ، قبضته مضــــمومة ، ووجهــــه متجهم من الغضب) ·

ايبين : (يكافح بخشونة ضد انجذابه المتزايد اليهــا وتوادده) واشتراك مثل العاهرة !

(يبدو كأنها لدغت ، ثم يحمر وجهها فى غضب .

كانت قد تأثرت بحق من سردها لمتاعبهـــا .
ويستطرد فى حنق) . والمزرعة التى يقدمها لك
ثمنا ، قد كانت ، مزرعة أمى ، عليك اللعنة .. !
وهى الآن صارت ملكى !

آبى : (مع ضحكة باردة مليئة بالثقة) ملكك ؟ سنتدبر الأمر ! (ثم بعنف) حسنا ، ما ذنبى اذا كنت فى حاجة ماسة الى بيت ؟ وأى سبب آخر اذن كان يدعونى للزواج من عجوز مثله ؟

ايبين : (بخبث) سأخبره بما قلته الآن !

آبى : (مبتسمة) ســأقول انك تكذب عن عمــد ، وحينئذ سيطردك من البيت !

ايبين : أنت شيطان !

آبى : (متحدية اياه) هذه مزرعتى ، وهذا بيتى ، وهذا مطبخى !

ايبين : (بشراسة ، وكأنه على وشك مهاجمتها) اخرسى، عليك اللعنة !

آبى : (تسير اليه ، وعلى وجهها وجسدها تعبير غريب فظ عن الرغبة . وتقول فى بطء) وفى الطابق العلوى .. مخدعى ، وهناك فراشى !

(يحدق فى عينيها ، وهـو فى ارتباك فظيع . وتضيف فى نعومة) أنا لست شريرة أو وضيعة الا مع أعدائى — ولكن علىّ أن أقاتل فى سبيل ما ينبغى لى أن أفوز به من الحياة ، اذا بدا لى أمل فى الحصول عليه . (عندئذ تضع يدها فوق ذراعه باغراء) ايبين ، فلنكن صديقين ، أنت وأنا ..

ايبين : (بغباء وكأنه مخدر) أجل . (ثم نافضا ذراعها بشراسة) كلا ، أيتها الساحرة العجوز القذرة ! اننى أكرهك !

(يندفع خارجا من الباب)

آبى : (تنظر فى اثره ، وتبتسم فى رضى — ثم تلوك الكلمات فى فمها ، وهى نصف محدثة نفسها) ايبين لطيف . (تنظر الى المنضدة ، فى فخر) الآن ، سأغسل صحافى .

(يظهر ايبين فى الخـــارج ، وهو يخبط الباب وراءه بعنف ـ يستدير حول الركن ، وحين يلمح والده يتوقف ، ويحدق اليه فى كراهية) .

كابوت : (رافعا ذراعيه الى السماء ، فى غضب لم يعد

باستطاعته كبحه) أيها الرب ، يا رب الكواكب والملائكة والأفلاك ، اصرع الأبناء العاقين بأقسى لعناتك ..

ايبين : (متدخلا فى عنف) أنت والهك ! على الدوام تصب لعناتك على الناس ، وعلى الدوام تتصدى لهم !

كابوت : (غير ملق اليه بالا — فى ابتهال) أيها الرب يا معين المسن ! أيها الرب يا مؤنس من لا أنيس له !

ايبين : (فى سخرية) انه يستحث قطيعه على ارتكاب الخطيئة ! الى الجحيم بالهك !

كابوت : (غاضبا) لقد طال بى العمر ، وصارت كل رؤاى خادعة !

ايبين : (وهو يبصق) كفاك ما عشته ! (يستدير كابوت ويتبادل هو وايبين التحديق أحدهما فى الآخر) .

كابوت : (بخشونة) اذن فهو أنت . كان علىّ أن أدرك هذا ! (يهز اصبعه مهددا اياه) أيها المجدف الأبله ! (ثم بسرعة) لم لا تقوم بعملك ؟

ايبين : ولم لا تفعل أنت ؟ لقد غادرنا الشقيقان ،

ولا أستطيع القيام بالعمل كله وحدى .

ابوت : (فى احتقار) بل أنت لا تستطيع القيام به بأى حال من الأحوال ! فأنا بحالتى الراهنة ، وبما بلغته من كبر السن ، أساوى عشرة من أمثالك ! انت لن تكون أبدا أكثر من نصف رجـل ! (وبعدئذ ، بلهجة تقرير الواقع) حسنا ، فلنذهب الى الحظيرة .

(ينصرفان . يسمع مقطع أخير خافت من أغنية « كاليفورنيا » تنســـاب من بعيد . آبى تغسل الصحاف)

ســـتار

القسم الثاني

المنظر الأول

خارج منزل المزرعة ، مثل القسم الأول ـ اصيل يوم أحد قائظ ، بعد الاحداث السابقة بشهرين ٠

(تبدو آبى ، وهى ترتدى أحسن ثيابها ، وتجلس فى كرسى هزاز ، عند نهاية السقيفة ٠ تتأرجح فى كرسيها وهى غافلة ، وقد اضمحلت حيويتها بفعل القيظ ٠ انها تحدق فيهما امامها بعينين نصف مغمضتين فيهما سأم ٠

يطل ايبين برأسه من نافذة مخدعه٠ يتطلع حواليه متلصصا٠ ويحاول أن يرى ـ أو يسمع ـ اذا كان هناك ثمة شخص فى السقيفة ٠ ولكن رغم حرصه على تلافى أى ضوضاء فان آبى تحس بحركته ٠ تتوقف عن التأرجح ، ويفيض وجهها بالنشاط والشوق ٠ تنتظر فى تيقظ ٠ يبدو ان ايبين يحس بوجودها ، يتجهم وجهه حين يسترجع افكاره عنها ، ويبصق فى ازدراء مبالغ فيه ، ثم ينسحب الى داخل الغرفة ٠ تنتظر آبى ، وهى تحبس أنفاسها ، وتصغى بشغف شديد لكل صوت يصدر من داخل المنزل ٠

يخرج ايبين ٠ تتلاقى اعينهما ، ويرتبك حين تطرف عيناه فيستدير مبتعدا ، ويصفق الباب فى امتعاض ٠ عند صدور هذه الحركة ، تضحك آبى ضحكة فى اغاظة ، ضحكة مبعثها احساسها

بطرافة ما يحدث ، وان كانت فى نفس الوقت تشـــعر بالغيظ وامتهان كبريائها • يتجهم ايبين ، ويخطو خارج السقيفة ، ناحية الممر ، ويشرع فى السير مبتعدا عنها ناحية الطريق ، وهو يتجاهل وجودها فى خيلاء بالغ • انه يرتدى حلته الجاهزة ، انيقا ، يتألق وجهه من فرط الغسيل بالماء والصابون • تتكىء آبى الى الأمام على كرسيها ، وقد صارت عيناها الآن قاسيتين حانقتين ، واثناء عبوره امامها ، تنطلق منها ضحكة ساخرة متهكمة) •

ايبين : (مأخوذا ، يستدير اليها فى هياج) مم تضحكين؟

آبى : (بلهجة الانتصار) منك !

ايبين : رماذا فى ؟

آبى : انك تبدو فى غاية التأنق ، كما لو كنت ثورا يعدونه لاستلام جائزة .

ايبين : (بابتسامة ازدراء) حسنا ، أنت نفسك لست على قسط وافر من الجمال ، أليس كذلك ؟

(يحـــدق كل منهمـــا فى عينى الآخر ، وتتسلط عيناها على عينيه رغما عنـــه ، فتتألق عيناها فى ســيطرة • ويتحـــول تجاذبهما الجسدى الى قوة ملموسة تخفق فى الهواء الحار) •

آبى : (برقة) ايبين ، أنت لا تعنى ما تقول . ربما تظن انك تعنيه ، ربما ، ولكنك فعلا لا تعنيه

فهذا ليس فى استطاعتك . انه مناف للطبيعة ، ايبين . لقد ظللت تصارع طبيعتك منذ اليـــوم الأول لمجيئى ، كنت تحاول أن تقول لنفسك اننى لست جميلة فى عينيك . (تضحك ضحكة لينة منخفضة ، دون أن تحرك عينيها عنه . فترة صمت . ثم يتلوى جسدها فى رغبة ، وتغمغم فى تراخ) أليست الشمس قوية وحاميـــة ؟ تستطيع أن تحس لهيبها يتغلغل داخل التربة . انها الطبيعة تبعث النماء فى الأشياء ، لتصير أكبر فأكبر . انها الطبيعة تحترق فى داخلك ، لتبعث فيك الرغبة فى النمو . النمو الى أن تصبح شيئا آخر ، حتى تتحد بها . انها طبيعتك ، ولكنها تحتويك داخلها أيضا ، وتجعلك تنمـــو وتزداد نموا كأنما أنت شجرة ، مثل شجرات الدردار تلك . (تضحك مرة أخرى فى نعومة ، وهى تثبت نظراتها على عينيه . يتحرك خطوة ناحيتهـــا ، مضطرا ورغم ارادته) . ستقهرك الطبيعة ، يا ايبين . ربما كان من الأفضل لك أن تعترف بذلك أولا وقبل كل شىء .

ايبين : (محاولا الخلاص من سطوتها ، بارتبـاك) لو سـمعك أبى وأنت تواصلين هـذا .. (باشمئزاز) ولكنك جعلت من ذلك الشيطان العجوز انسانا أبله ملعونا . (تضحك آبى) .

آبى : حسنا .. أليس من الأنسب لك ، ما جرى له من تحول جعله أكثر لينا ؟

ايبين : (بتحد) كلا . اننى أحـاربه ، وأحاربك . أحاربكما من أجل حقوق أمى فى بيتها ! (يحطم هذا سيطرتها عليه ، فيحدق فيها) واننى لك بالمرصاد ، لن تتمكنى من خداعى بأى حال من الأحوال . انك تتوقين الى التهام كل شىء وجعله ملكا لك . حسنا ، سيتكشف لك اننى لقمة أكبر قليلا ممـا تستطيعين مضغه ! (يستدير مبتعدا عنها ، وعلى وجهه ابتسامة ازدراء) .

آبى : (محاولة استعادة سطوتها عليه ، باغراء) ايبين !

ايبين : دعينى وشأنى ! (يبدأ فى السير مبتعدا) .

آبى : (بمزيد من الأمر) ايبين !

ايبين : (يتوقف ، بغضب) ماذا تريدين ؟

آبى : (محاولة اخفاء اهتياجها المتزايد) الى أين أنت ذاهب ؟

ايبين : (بفتور خبيث) أوه أسير على الطريق بعض الوقت .

آبى : الى القرية ؟

ايبين : (بمرح) ربما .

آبى : (ثائرة) لزيارة تلك المدعوة مين ، فيما أعتقد ؟

ايبين : ربما .

آبى : (بتخاذل) لماذا تضيع وقتك معها ؟

ايبين : (ينتقم لنفسه الآن ، يبتسم لها) لأن المرء لا يستطيع أن يقهر الطبيعة ، ألم تقولى هذا ؟

(يضحك ، ويشرع فى السير مرة أخرى)

آبى : (منفجرة) تلك السمكة العجوز القبيحة !

ايبين : (بابتسامة هازئة) انها أجمل منك !

آبى : تلك التى لا يوجد أى سكير حقير فى البلدة الا ..

ايبين : (بلهجة مهينة) ربما ، ولكنها أفضل منك . فهى تعترف بكل أفعالها فى صراحة ووضوح .

آبى : (بشراسة) لا تجرؤ على مقارنتى .

ايبين : انها لا تعمد الى التسلل وسرقة ما هو ملكى .

آبي : (تتمسك فى وحشية بنقطة ضعفه) ملكك ؟ تقصد .. مزرعتى ؟

ايبين : بل أقصد المزرعة التى بعت نفسك من أجلها ، مثل أى عاهرة عجوز أخرى . أقصد مزرعتى !

آبي : (مجروحة ، بوحشية) لن تعيش أبدا حتى ترى اليوم الذى يصبح فيه أى عشب تتن ينمو عليها، ملكا لك ! (وبعــدئذ فى صراخ) أغرب عن وجهى ! اذهب الى عاهرتك .. وامتهن كرامة أبيك وكرامتى ! كان باستطاعتى ، لو أردت ، أن أجعل أبيك يلهب جسدك بالسياط حتى تغادر هذا المكان ! انك لا تعيش هنـا ، الا لأننى أحتملك ! اذهب فانى أكره رؤيتك !

(تتوقف ، وهى تلهث وتحدق فيه)

ايبين : (مبادلا اياها نفس النظرة) وأنا كذلك أكره رؤيتك !

(يستدير ويخطو فى الطريق . تتـــابع صورته المتقهقرة فى كراهية مركزة . يظهر العجوز كابوت قادما من ناحية الحظيرة . لقد تغير التعبير القاسى العابس الذى كان على وجهه . يبدو لينا متسامحا بطريقة فيها

شيء من الغرابة. لقد اكتسبت عيناه مسحة غريبة متناقضة حالمة . ولكن لاتوجد فيه أي بادرة من ضعف جسدي ـ بل انه يبدو على العكس ، اكثر قوة وشبابا . تراه آبي، وتشيح بوجهها عنه بسرعة في نفور ظاهر. يسير ببطء متجها اليها) .

كابوت : (برقة) هل عدتما للشجار أنت وايبين ، مرة أخرى ؟

آبي : (باقتضاب) كلا .

كابوت : لقد كنت تتحدثين بصوت مرتفع جدا .. (يجلس على حافة السقيفة) .

آبي : (بفظاظة) اذا كنت قد سمعتنا ، فلا حاجة بك الى السؤال .

كابوت : لم أسمع ما كنتما تقولان .

آبي : (بارتياح) حسنا ، لم يكن شيئا هاما ما قلناه .

كابوت : (بعد برهة) ايبين شاب غريب .

آبي : (بمرارة) انه صورة طبق الأصل منك !

كابوت : (باهتمام غريب) أتظنين ذلك ، يا آبي ؟ (بعد فترة صمت ، في تأمل) انني أنا وايبين دائما في صراع يتلوه صراع . لم يكن في استطاعتي

أبدا أن أحتمله بالمرة . انه رخـو الى درجة بغيضة ، مثل أمه .

آبى : (فى احتقار) أجل ! ان رخاوته كرخاوتك !

كابوت : (كما لو لم يكن قد سمع) ربما آكون قد قسوت عليه كثيرا .

آبى : (متهكمة) آه ، لقد بدأت الرخاوة تدب فيك الآن . انه رخو كخرقة مهلهلة ! هذا ما قاله ايبين عنك .

كابوت : (يتجهم وجهه وينذر بالسوء) ما قاله ايبين عنى ؟ من الأفضـل له ألا يفعل ما يغضبنى والا فانه سيكتشف فى الحال .. (فترة صمت . تظل مشيحة بوجهها عنه . أسارير وجهه تنفرج تدريجيا . يتطلع أعلاه الى السماء) انها رائعة ، أليس كذلك ؟

آبى : (عابسة) لا أرى أى شىء رائعا .

كابوت : السماء . تبدو كما لو كانت حقـلا دافئا فى الأعالى .

آبى : (ساخرة) أتصبو الى شراء ما يعلو المزرعة أيضا ؟ (تضحك ضحكة مكتومة فى ازدراء) .

كابوت : (فى لهجة غريبة) كم أود أن أمتلك مكانى هناك فى الأعالى . (بعد برهة) لقد تقدمت بى السن يا آبى . صرت ثمرة حان قطافها . (فترة صمت . تحدق فيه بغموض . ويتابع هو كلامه) . ان المنزل موحش بارد دائما ، حتى حين يبلغ القيظ فى الخارج أقصاه . ألم تلحظى ذلك ؟

آبى : كلا .

كابوت : ان الدفء موجـود هناك فى الحظيرة ، الرائحة الطيبة والدفء ، تتوفر مع الأبقار . (بعد برهة) الأبقار مخلوقات غريبة .

آبى : مثلك ؟

كابوت : مثل ايبين . (فترة صمت) لقد بدأت أشعر بأن علىّ أن أوطن النفس على العيش مع ايبين ، تماما كما حدث لى مع والدته . بدأت أروض نفسى على تحمـل رخاوته ، الشـبيهة تماما برخاوتها . بل اعتقد اننى كنت أستطيع التآلف معه ، لو لم يكن ذلك الغبى المعتوه ! (بعـد برهة) اعتقد انها الشيخوخة قد أخذت تدب فى عظامى .

آبى : (دون مبالاة) حسنا ، ولكنك لم تمت بعد .

كابوت : (مستثارا) كلا لم أمت ، بالتأكيد — لم أمت قط فى شىء — ان بى من القوة والصلابة ما لشجرة الجوز ! (بكآبة) ولكن بعد انصرام سبعين عاما ، فان الرب يرجو أن تتأهب . (فترة صمت) هذا هو السبب الذى من أجله خطر ايبين على بالى . فالآن وقد اتخذ أخواه الآثمان الملعونان طريقهما الى الجحيم ، لم يعد أمامى أحد سوى ايبين .

آبى : (باستنكار) وأنا ، ألست موجودة ؟ (فى هياج) ما كل هذا الحب المفاجىء الذى تبديه لايبين ؟ لماذا لم تقل شيئا بشأنى ؟ ألست أنا زوجتك شرعا ؟ .

كابوت : (ببساطة) أجل ، انت كذلك (فترة صمت — يحدق فيها فى رغبة — وتتألق عيناه فى جوع ، ثم يمسك يديها فى حركة مفاجئة ويعتصرهما ، متكلما بلهجة خطابية غريبة ، مثل تلك التى يعظ بها راعى كنيسة فى اجتماع دينى) أنت وردة شارون . اسمعى الىّ وانظرى ،

فأنت حلوة ، عيناك حمامتان ، شفتاك كسلكة من القرمز ، ثدياك كخشفتى ظبية ، سرتك كأس مدورة ، وبطنك صبرة حنطة .. (يعطى يدها بقبلاته .. لا يبدو عليها انها تلاحظ ذلك . تحدق فيما أمامها بعينين قاسيتين غاضبتين) .

آبى : (نافضة يديها بعيدا ، بخشونة) اذن فأنت تدبر ترك المزرعة لايبين ، أليس كذلك ؟

كابوت : (مذهولا) ترك .. ؟ (ثم باستنكار وعناد) اننى لن أعطيها لأحد !

آبى : (بقسوة) لن تأخذها معك الى القبر .

كابوت : (يفكر برهة ، ثم يقول فى احجام) كلا ، لا أحسبنى أستطيع (بعد لحظة ، بعاطفة غريبة) ولكن ، وحق الاله الخالد ، لو كنت أستطيع أخذها ، لفعلت ! ولو كنت أستطيع ، ساعة احتضارى ، لأشعلت فيها النار وأخذت أرقبها وهى تحترق .. هذا المنزل ، وكل سنبلة قمح ، وكل شجرة ، حتى تأتى النار على آخر قشة من دريس ! اذن لجلست وأنا أعلم ان كل هذه الأشياء من حولى ستموت معى ، وانه لن يكون

هناك اطلاقا من يمتلك شيئا كان ملكى ، شيئا صنعته من العدم بدمى وعرقى ! (فترة صمت ، ثم يضيف فى حنان غريب) ما عدا الأبقار ، فهذه سأطلق سراحها .

آبى : (بفظاظة) وأنا ؟

كابوت : (بابتسامة غريبة) وأنت كذلك ، سيطلق سراحك .

آبى : (بشراسة) اذن فهذا هو الجزاء الذى أحصل عليه نظير زواجى منك ، أن أجدك تتحول بعاطفتك تجاه ايبين الذى يمقتك ويتحدث عن عزمه على طردى الى الطريق .

كابوت : (بعجلة) آبى ! أنت تعلمين انى لن أفعل ..

آبى : (بلهجة انتقامية) اذن دعنى فحسب أقول لك شيئا أو شيئين عن ايبين ! أين ذهب ؟ ليزور تلك العاهرة ، مين ! وحاولت جاهدة منعه . ولكنه ذهب ليجلب العار لك ولى ! وفى يوم السبت المقدس أيضا !

كابوت : (وهو أقرب الى الاحساس بالاثم) انه خاطىء بالطبيعة ، والشهوة تأكل قلبه .

آبى : (وقد زاد غضبها فوق ماتحتمل ، بادانة وحشية) واشتهاؤه لى ! أتستطيع أن تلتمس له عذرا ؟

كابوت : (محملقا فيها ، بعــــد لحظة صــمت قاتل) اشتهاؤه .. لك ؟

آبى : (فى تحد) لقد كان يحاول مطارحتى الهوى .. حين سمعتنا نتشاجر .

كابوت : (محدقا فيها ، ثم يكسو وجهــه تعبير غضب مخيف ، يقفز واقفا عــلى قدميه وجسده كله يرتعد) بحق الاله الجبار ، لأنهين حياته !

آبى : (وقد تملكها الخوف الآن على ابين) كلا ! لن تفعل !

كابوت : (بعنف) سأحضر بندقيتى وأجعل مخه الغبى يتناثر هناك على قمة شجرات الدردار تلك !

آبى : (ملقية بذراعيها حوله) كلا يا افراييم !

كابوت : (وهو يدفعها بقسوة بعيدا عنه) بل سأفعل والله !

آبى : (فى لهجة مهدئة) أصغ الى يا افراييم ، لم يكن فى الأمر مقصد شرير ، انه لا يعدو أن يكون

حماقة صبى ، وهى لا تعنى شيئا جادا ، لم تكن أكثر من مزاح ومعاكسة .

كابوت : اذن لم قلت .. شهوة ؟

آبى : لابد أن الكلمة بدت لك أكثر سوءا مما قصدت. كما اننى كدت أجن ، حين فكرت .. فى انك ستترك له المزرعة .

كابوت : (بلهجة أهدأ ، وان كان لا يزال متجهما قاسيا) حسن اذن ، سألهب جسده بالسياط حتى يغادر المكان ، لو كان هذا يرضيك .

آبى : (تمديدها وتتناول يده) كلا . لا تفكر فىّ ! لا ينبغى عليك أن تطرده ، فهذا ليس من الفطنة . اذ من الذى ستأتى به ليساعدك فى المزرعة ؟ لا يوجد أحد حولنا .

كابوت : (يفكر فى هذا ، ثم يهز رأسه موافقا) أنت بارعة الذكاء . (ثم فى قلق) حسنا ، فليبق . (يجلس على حافة السقيفة ، تجلس الى جواره ويغمغم فى ازدراء) لا ينبغى علىّ أن استفز هكذا ، من أجل ذلك العجل الغبى . (فترة صمت) ولكن ها هى ذى المشكلة . أى ابن من صلبى سيرعى

هذه المزرعة ، حين يستدعيني الرب ؟ لقد ذهب سيميون وبيتر الى الجحيم ، وها هو ايبين يتبعهما .

آبي : أنا موجودة .

كابوت : أنت امرأة .

آبي : انني زوجتك .

كابوت : ولكنك لست مني . أما الابن ، فهو مني ، من دمي ، من صلبي . وينبغي أن يحصل على أملاكي من جاء مني .. وحينئذ تظل أملاكي ملكا لي ، حتى ولو كنت تحت الثرى بستة أقدام . هل فهمت ؟

آبي : (تلقي عليه نظرة كراهية) أجل ، أفهم . (تبدو في تفكير شديد ، تبين على وجهها امارات الدهاء ، وتدرس عيناها كابوت في خبث) .

كابوت : لقد تقدم بي العمر ، وأصبحت ثمرة حان قطفها . (ثم في تأكيد مفاجيء) ولكنني لم أصبح بعد الجوزة الهشة التي يمكن كسرها ، ولن أصبح كذلك لسنوات كثيرة قادمة . فقسما بالرب الخالد ، انني لأستطيع أن أقصم ظهور غالبية

الشبان ، فى أى عمل من الأعمال ، وفى أى يوم من أيام السنة !

آبى : (فجأة) قد يمنحنا الرب ابنا .

كابوت : (يستدير ويحدق فيها بشغف) أتعنين ، ابنا ، منى ومنك ؟

آبى : (بابتسامة متملقة) انك لا تزال رجـلا قويا ، أليس كذلك ؟ وهذا ليس مستحيلا اليوم ، أليس كذلك ؟ نحن نعلم هذا . لماذا تحملق فى هكذا ؟ ألم تفكر اطلاقا فى هذا من قبل ؟ لقد كنت أنا أفكر فيه طوال تلك المدة . أجل ، وكنت أصلى أيضا ، حتى يحدث .

كابوت : (وقد بدأ يشمل وجهه كله تعبير من الزهـو المرح ، ونوع من النشوة الدينية) كنت تصلين يا آبى .. ؟ من أجل ولد ؟ .. ولد لنا ؟

آبى : أجل . (بتصميم وحزم) وأنا الآن أريد ولدا .

كابوت : (قابضا على يديها فى يده) سيكون ذلك نعمة من الله يا آبى . نعمة الرب القادر على ، وأنا فى شيخوختى تلك ، وفى وحشتى تلك ! حينذاك ، لن تطلبى شيئا الا قدمته لك يا آبى . سيكون

عليك فقط أن تطلبيه ، أى شيء يخطر لك على بال ..

آبى : (مقاطعة) هل ستوصى لى حينذاك بالمزرعة ، توصى بها لى وله ؟

كابوت : (فى حماس شديد)أقول لك ، انتى سأفعل أى شيء تطلبينه ! أقسم على هذا ! ولأخلد ملعونا فى الجحيم لو حنثت بقسمى ! (يركع عـلى ركبتيه ، وهو يجذبها معه الى أسفل . يرتعد جسده كله من حماسه لآماله) صل للرب مرة أخرى يا آبى . أنه يوم السبت ! وسأنضـم اليك ! فان صلاتين أفضل من واحدة . « واستمع الرب لراحيل . فحبلت راحيل وولدت ابنا » . واستمع الرب لآبى . صل ، يا آبى ! صـلى للرب حتى يستمع اليك ! (يحنى رأسـه ، ويتمتم . تتظاهر بأنها تفعل مثله ، ولكنها تلقى عليه نظرة جانبية فيها احتقار وانتصار) .

المنظر الثـــانى

الوقت حوالى الثامنة مساء • المشهد داخل غرفتى النوم فى الطابق الأعلى •

(ايبين جالس على جانب من فراشه فى الغرفــــة التى الى اليسار • وبسبب الجو الحار خلع كل ملابسه ، ماعدا الداخلية منها وسرواله • قدماه عاريتان• يواجه النظارة، يفكر وهو مكتئب، وذقنه مستندة الى يديه ، وعلى وجهه تعبير يائس •

فى الغرفة الاخرى ، يجلس كابوت وآبى جنبا الى جنب على حافة فراشهما ، وهو فراش ذو أربعة اعمدة ، وحشية من الريش• يرتدى منامته ، وترتدى هى قميص نومها • انه لا يزال فى حالة الاضطراب الغريبة التى بعثتها فيه فكرة انجاب ابن • الغرفتـــان يضيئها ضوء معتم متراقص ينبعث من شمعتين من دهن الحيوان)•

كابوت : المزرعة فى حاجة الى ولد .

آبى : بل أنا التى أحتاج الى ولد .

كابوت : أجل . فأحيانا أتصور انك أنت المزرعة ، وأحيانا أخرى أتصور أن المزرعة هى أنت . وهذا هو سبب تشبثى بك فى وحدتى . (فترة صمت . يضرب ركبته بقبضته) حتم علينا ، أنا والمزرعة أن ننجب ابنا !

آبى : من الأفضل لك أن تنام ، فقد بدأت تخلط بين الأشياء .

كابوت : (بحركة تدل على نفاد الصبر) كلا ، اننى لا أفعل . ان ذهنى صاف كأنه بئر . أنك لا تفهميننى هذا كل ما فى الأمر . (يحدق فى السقف يائسا) .

آبى : (دون مبالاة) ربما ...

(فى الغرفة المجاورة، ينهض ايبين ، ويخطو ذاهبا آيبا وذهنه شارد . تسمعه آبى . وتتركز عيناها على الحائط الفاصل فى اهتمام زائد . يبدو كما لو كانت نظراتهما الحارة تتلاقى عبر الحائط . يمد ذراعيه تجاهها دون وعى ، فتنهض نصف نهوض ، ثم يفيق لنفسه فيغمغم بلعنة ، ويرتمى على الفراش ووجهه الى اسفل ، وقبضتاه مضمومتان اعلا رأسه ووجهه مدفون فى الوسادة . تسترخى آبى فى تنهيدة خافتة، ولكن عينيها تظلان مثبتتين على الحائط ، تصغى بكل حواسها فى انتظار حركة ما تصدر عن ايبين) .

كابوت : (يرفع رأسه فجأة ويتطلع اليها ، بازدراء) . هل ستفهميننى يوما من الأيام ، أو هل سيفهمنى أى

رجل أو امرأة ؟ (يهز رأسه) كلا ، أعتقد أن هذا لن يحدث .

(يستدير عنها . آبى تنظر الى الحائط . ولما يتبين انه غير قادر على ان يسكت عن التصريح بأفكاره يمد يده ، دون أن يتطلع الى زوجته ، ويقبض على ركبتها . تقفز بعنف ، وتنظر اليه ، فترى انه لايرقبها ، فتركز انظارها على الحائط مرة أخرى ، ولاتعير كلامه أى اهتمام) .

اسمعى ، يا آبى . حين أتيت الى هنا ، منذ خمسين عاما مضت ، كنت قد أكملت العشرين وكنت أقوى وأصلب من كل من رأيتهم على الاطلاق ، كانت قوتى تعادل عشرة أمثال قوة ايبين ، وصلابتى تعادل صلابته خمسين مرة . لم يكن فى هذا المكان شيء ، سوى حقول من الحجارة. وضحك الناس منى حين اخترته . لم يكن فى مقدورهم أن يعرفوا ما أعرف . فأنت حين تستطيع أن تجعل القمح ينبثق من قلب الحجارة، فإن الرب يحيا بداخلك . لم تكن لديهم القوة الكافية ليفعلوا ذلك ! كانوا يعتقدون أن الله

سهل . وضحكوا ، ولكنهم لم يضحكوا بعد ذلك أبدا . فقد مات بعضهم هنا حولنا . وذهب بعض منهم الى الغرب حيث ماتوا هناك . لقد صاروا جميعا تحت الثرى ، لأنهم اتبعوا الهـا سهلا . ولكن الله ليس بسهل . (يهز رأسه ببطء) وهكذا نشأت صلبا . وظل الناس يقولون دائما ، « انه رجل صلب » وكأنها خطيئة أن يكون الانسان صلبا ، ولذا كان على فى آخر الأمر أن أجيبهم قائلا ، « حسن اذن ، بحق الرعد ، لن تجدونى الا صلبا ، وسترون بأنفسكم مدى اعجابكم بهذه الصلابة » . (ثم فجأة) ولكنى استسلمت ذات مرة للضعف . حدث ذلك بعد استقرارى هنا بعامين . تغلب على الوهن واليأس ، فقد كانت أمامى أحجار كثيرة . وكانت هناك مجموعة من الناس مزمعة أن ترحل الى الغرب ، بعد أن يئست من البقاء هنا . وانضممت اليهم . وأخذنا نسير ونسير ، حتى وصلنا الى مروج واسعة ، وسهول ، حيث كانت التربة سوداء وغنية كالذهب . لم يكن

فيها حجر واحد . أرض سهلة . كان عليك فقط أن تحرثها وتبذرها ، ثم يجلس المرء ليـدخن غليـونه ويرقب الزرع وهو ينمـو . كان فى مقدورى أن أصير غنيا ، ولكن فى أعماقى كان ثمة شيء ما ، يهيب بى ويهيب بى .. كان هذا الشيء هو صوت الرب وهو يقول : « ان هذا لا قيمة له عندى ، عد ثانية الى بيتك! » . وبعث ذلك الصوت الخوف فىّ ، فهربت عائدا الى بيتى هنا ، تاركا ورائى ممتلكاتى ومحاصيلى لمن شاء أن يأخذها . أجل ، تركت فعلا ما كان حقا مشروعا لى ! ان الرب صلب ، وليس سهلا! ان الرب موجود فى الأحجار ! ابن كنيستى على الصخر ، وشيدها من الأحجـار ، ففى تلك الأحجار سأكون . كان هذا هو ما أوحى به الرب لبطرس ! (يتنهـد فى اكتئاب . فترة صمت) الأحجار . لقد كنت ألتقطها وأكومها لأقيم منها أسوارا . باستطاعتك أن تقـرئى سنوات عمرى مكتوبة على تلك الأسوار . فكل يوم كنت أرفع حجرا ، متسلقا التلال صاعدا

وهابطا لكى أسوّر تلك الحقول التى أمتلكها ، الحقول التى جعلت النبت ينمو فيها من العدم، منفذا مشيئة الرب ، مثل خدامه الذين يلبون اشارته . لم يكن الأمر سهلا . بل كان صعبا ولذلك فقد جعلنى الرب صلبا كى أتحمله . (يتوقف برهة) وطوال الوقت كان احساسى بالوحشة يتزايد . واخترت زوجة ، فأنجبت لى سيميون وبيتر . كانت لمرأة طيبة . وكانت تشتغل بجد . ودام زواجنا عشرين سنة ولكنها لم تفهمنى أبدا . أعانتنى ، ولكنها لم تدرك أبدا فيم كانت تعيننى . كنت دائما وحيدا . وماتت . وبعد ذلك لم تكن الحال بمثل هذه الوحشة بعض الوقت . (فترة صمت) فقدت حساب الزمن . لم يتوفر لدى الوقت الذى أضيعه هباء فى عد السنين . كان سيم وبيتر يساعدانى . ونمت المزرعة . وكانت كلها ملكا لى . وحين كنت أفكر فى ذلك ، لم أكن أشعر بالوحشة . (فترة صمت) غير أن المرء لايستطيع أن يعلق ذهنه بشىء واحد ليل نهار . واخترت

زوجة أخرى — والدة ايبين . وكان هناك نزاع قانونى بينى وبين أهلها حول ملكية المزرعة — مزرعتى ! وهذا هو السبب الذى يجعل ايبين يواصل حديثه السخيف قائلا ان هذه مزرعة والدته . وأنجبت ايبين . كانت جميلة ، ولكن رخوة . وحاولت أن تصير صلبة ، ولكنها لم تستطع . ولم يكن فى مقدورها هى الأخرى أن تفهمنى أو تفهم أى شىء . وأصبحت الحياة معها أكثر وحشة من الجحيم . وبعد حوالى ستة عشر عاما ، توفيت . (فترة صمت) وعشت مع الأولاد . وكرهونى لصلابتى ، وكرهتهم لرخاوتهم . واشتهوا المزرعة ، دون أن يعرفوا ماذا تعنى المزرعة وأصابنى هذا بالمرارة والكآبة . وجعل الشيخوخة تدب فى أوصالى .. كونهم يشتهون ما كونته لنفسى . ثم جاءنى النداء مع هذا الربيع ، جاءنى صوت الرب هاتفا بى فى تيهى ، وفى وحشتى ، أن أسعى وأنقب وأجد ! (يستدير ناحيتها فى وله غريب) ونقبت عنك ووجدتك ! انت وردة شارون ! عيناك حما ..

(تستدير بوجه خال من التعبير ، وعينين مستاءتين . يحملق فيها لحظة ثم يقول بخشونة) .

هل وعيت شيئا من كل ما قلته لك ؟

آبى : (بارتباك) ربما .

كابوت : (يدفعها بعيدا عنه ، ثم يقول فى غضب) أنت لا تفهمين شيئا ، ولن تفهمى اطلاقا . اذا لم تنجبى ابنا يعوض هذا النقص فيك .. (يقول هذه العبارة بلهجة فيها تهديد بارد) .

آبى : (بامتعاض) لقد صليت لله ، أليس كذلك ؟

كابوت : (بمرارة) صل له مرة أخرى .. كى تفهمى !

آبى : (وفى لهجتها تهديد مغلف) سيكون لك ابن منى ، أعدك بذلك .

كابوت : وكيف يمكنك أن تعدى ؟

آبى : ربما كانت لدى القدرة على رؤية الغيب . أنا أستطيع التنبؤ . (تبتسم ابتسامة مريبة) .

كابوت : أومن أن لديك هذه القدرة ، فأنت أحيانا تصيبينى بالرعدة (يرتعد) أن البرودة تنساب فى هذا المنزل . انه يبعث القلق . هناك أشياء تتأهب للوخز فى الظلام ، فى الأركان .

(يرتدي سرواله ، وهو يحشر منامتـــه
بداخله ، ثم يلبس حذاءه ذا الرقبة)

آبی : (فى دهشة) الى أين أنت ذاهب ؟

كابوت : (بلهجة غريبة) هناك حيث الراحة ، حيث الدفء ، هناك فى الحظيرة . (بمرارة) باستطاعتى أن أحادث الأبقار ، فهى تفهمنى . انها تفهم المزرعة وتفهمنى . وستمنحنى تلك الأبقار راحة البال .
(يستدير ليخرج من الباب) .

آبی : (بشيء من الارتياع) هل أنت مريض الليـــلة يا افرايم ؟

كابوت : بل اننى أنمو ، ويزداد نضجى على الغصن .
(يستدير وينصرف ، وحذاءاه يصفقان الدرج . يجلس ايبين بحركة مفاجئة ، وهو يصغى . تحس آبى بحركته وتحدق فى الحائط . يخرج كابوت من المنزل ، ويستدير حول الركن ، ثم يتوقف عند البوابة ، وهو يطرف بعينيه الى السماء . يمد يديه الى أعلا فى حركة فيها عذاب) . أيها الرب القوى ، أرسل نداءك من خلال الظلام !

(ينصت وكأنه يتوقع اجابة . ثم يســقط

ذراعاه ، يهز رأسه ويسير فى تثاقل ناحية المخزن • يحدق ايبين وآبى كل منهمـا فى الآخر خلال الحائط • يتنهد ايبين تنهيدة مهمومة ، وتستجيب له آبى• يصبح الاثنان فى منتهى العصبية والقلق • فى النهـاية تنهض آبى وتنصت ، واذنها على الحائط • ويتصرف هو ، كما لو كان يرى كل حركة تصدر منها ، تسكن حركته تماما• يبدو عليها انها منساقة وراء قرار ما ، تخرج من الباب الخلفى فى تصميم • تتبعها عيناه • وحين تفتح باب غرفته برقة ، يسـتدير بعيداً ، وينتظر فى ثبات متوتر • تقف آبى لحظة وهى تحدق فيه، وعيناها تتوقدان بالرغبة. ثم مع صرخة خافتـة ، تهرع اليه وتلقى بذراعيها حول رقبته ، تجذب رأسـه الى الوراء ، وتغمر فمه بالقبلات • وفى بادىء الأمر يستجيب لها فى ذهول ، ثم يضـع ذراعيه حول رقبتها ويبادلها القبلات ولكنه فى النهاية ، يفيق فجأة الى كراهيته فيدفعها بعيدا عنـه ، ويقفز واقفـا على قدميه • يقفان صامتين ، متلاحقى الانفاس ، وهمـا يلهثان كحيوانين) •

آبى : (أخيرا ، فى ألم) ما كان جديرا بك أن تفعل هـذا ، يا ايبين . ما كان جـديرا بك ، كنت سأجعلك سعيدا !

ايبين : (بخشونة) لا أرغب فى سعادة تأتى .. عن طريقك !

آبى : (بعجز) بل ترغب فى ذلك ايبين ! ترغب فى ذلك ! لم تكذب ؟

ايبين : (بحقد) اننى أقول لك ، اننى لن آلفك ! فاننى أكره مرآك !

آبى : (وهى تطلق ضحكة مهمومة حائرة) حسنا ، لقد قبلتك على أية حال ، وبادلتنى أنت القبلات، وكانت شفتاك ملتهبتين ، ولا تستطيع أن تكذب فى هذا ! (بحماس) ما دمت لا تهتم بى ، فلم بادلتنى القبلات ، ولم كانت شفتاك ملتهبتين ؟

ايبين : (وهو يمسح فمه) كانت قبلاتك كالسم عليهما. (ثم فى لهجة مهينة) ولربما حين بادلتك القبلات، كنت أحسبك شخصا آخر .

آبى : (بوحشية) مين ؟

ايبين : ربما .

آبى : (فى عذاب) هل ذهبت للقائها ؟ هل ذهبت حقا الى هناك ؟ ظننت أنك قد لا تذهب . ألهذا السبب دفعتنى بعيدا عنك ، الآن ؟

ايبين : (باستهزاء) وماذا لو كان هو السبب ؟

آبى : (وهى تهدر) اذن ، فأنت كلب ، يا ايبين كابوت!

ايبين : (مهددا) لا أسمح لك بأن تخاطبينى بهذه اللهجة!

آبى : (مع ضحكة حادة) لا تسمح ؟ أكنت تظننى وقعت فى غرامك ! فى غرام انسان هش مثلك ؟ ليس الأمر كذلك ! وانما أردتك فقط من أجل غرض خاص بى وسأجعلك تؤدى هذا الغرض ، لأننى أقوى منك !

ايبين : (باشمئزاز) كنت أعلم جيـداً أن ذلك ليس الا جزءا من خطتك للاستيلاء على كل شىء !

آبى : (فى مكايدة) ربما :

ايبين : (حانقا) اخرجى من غرفتى !

آبى : انها غرفتى ، وأنت لست الا أجيرا لمعاونتنا !

ايبين : (مهددا) اخرجى قبل أن أقتلك !

آبى : (وقد استردت ثقتها الآن تماما) لا أخافك مثقـال ذرة ! أنت تشتهينى ، أليس كذلك ؟ أجل ، أنت ترغبنى ! والابن الذى من صلب أب كأبيك ، لا يقتل أبدا شيئا يرغب فيه ! انظر الى عينيك ! فيهما الشهوة نحوى ، تلك الشهوة

التى تجعلهما تتوقدان ! انظر الآن الى شفتيك ! انهما ترتعدان شوقا لتقبيلى ، وأسنانك تصطك لعضى ! (يراقبهـا الآن فى افتتـان مخيف . وتطلق ضـحكة مجنـونة ظـافرة) سأجعل هذا البيت كله ، بيتى أنا ! هناك غرفة واحدة لم تصبح ملكى بعد ، ولكنها ستصير ملكى هذه الليلة . سأهبط الآن لاضاءتها ! (تقدم له انحناءة ساخرة) ألا تأتى لمغازلتى فى أفضـل غرفة جلوس ، أيها السيد كابوت ؟ .

ايبين : (يحملق فيها ، وهو فى غاية الارتباك ، ويقول فى غباء) أنت لا تجسرين ! هذه الغرفة لم تفتح منذ وفاة والدتى ، حين وسدت فيها ! أنت لا .. (ولكن عينيها تتركزان عليه فى توقد ، حتى يبدو كأن ارادته تتخاذل أمام ارادتها . يقف مترنحا فى عجز تجاهها) .

آبى : (مثبتة نظراتها على عينيه ، وتضع كل عزيمتها فى كلماتها ، وهى تنسحب من الباب) . منتظرة قدومك بعد قليل ، يا ايبين .

ايبين : (يحدق خلفها لحظة ، ثم يسير تجاه الباب .

يظهر ضوء فى نافذة غرفة الجلوس . ويغمغم)
فى غرفة الجلوس ؟
(يبدو أن هذا يثير فيه ارتباطات معينة ، لأنه يعود ويرتدى قميصه الأبيض ، وياقته ، وبحركة آلية يربط رباط عنقه نصف ربطة ، يرتدى سترته، ويتناول قبعته ، ويقف حافى القـدمين يتطلع حواليه فى حيرة ، ويغمغم فى دهشة) أماه !
أين أنت ؟

(ثم يذهب فى بطء تجاه الباب الخلفى) .

المنظر الثالث

بعد بضع دقائق. يظهر داخل غرفة الجلوس . وهى غرفة كئيبة مكتومة ، وكأنها قبر قد دفنت فيه العائلة حية •

(آبى تجلس على حافة الاريكة المصنوعة من شعر الخيل • لقد اضاءت كل الشموع • وكشفت الغرفة عن كل قبحها المختزن• هناك تغير شمل المرأة • يبدو عليها الآن الرعب والخوف ، وكأنها على استعداد للهرب •

يفتح الباب ، ويظهر ايبين . يكتسى وجهه تعبير من الاضطراب والذهول • يقف محدقا فيها ، وذراعاه تتدليان من كتفيه ، قدماه حافيتان ، وقبعته فى يده) •

آبى : (بعد فترة صمت ، بعصبية وتأدب متكلف) ألا تجلس ؟

ايبين : (ذاهلا) أجل . (ويضع قبعته بطريقة آلية على الأرض قريبا من الباب ، ويجلس متصلبا الى جوارها على حافة الأريكة . فترة صمت . يظل كلاهما متخشبا ، وهما ينظران أمامهما مباشرة ، وأعينهما مليئة بالخوف) .

آبى : فى أول لحظة لدخولى هنا ، فى الظلام ، بدا لى وكأن ثمة شيئا يوجد هنا .

ايبين : (ببساطة) أمي .

آبي : انني ما زلت أحس بوجود شيء ما .

ايبين : انها أمي .

آبي : وخفت منها أول الأمـر . وأردت أن أصرخ وأجرى . والآن — ومنذ حضورك — يبدو انها بدأت تحنو وتعطف علي . (مخاطبة الهواء ، بلهجة غريبة) شكرا لك .

ايبين : كانت أمي تحبني دائما .

آبي : وربما تعرف انني أيضا أحبك . وربما يكون هذا ما جعلها عطوفة علي .

ايبين : (بغباء) لا أدرى . كنت أعتقد انها ستكرهك.

آبي : (في ثقة) كلا . أحس انها لا تكرهني .. انها لم تعد تكرهني .

ايبين : لابد انها تكرهك ، لأنك سرقت مكانها ، هنا في بيتها ، بجلوسك في غرفة جلوسها التي وسدت فيها .. (يتوقف فجأة ، ويحدق أمامه في غباء).

آبي : ماذا هناك ايبين ؟

ايبين : (هامسا) يبـدو أن والدتي لا تريد مني أن أذكرك .

آبى : (بانفعال) كنت أعلم هذا ، ايبين ! انها تعطف علي . انها لا تحمل لى أى ضغينة . انها لا يمكن أن تدينني من أجل شيء لم تكن لى فيه يد ، ولا يقع وزره عليّ !

ايبين : ولكن أمي تحقد عليه .

آبى : أجل ، هذا ما نحس به نحن جميعا تجاهه .

ايبين : أجل (فى غضب) واني ، والله ، لأحقد عليه !

آبى : (تأخذ احدى يديه بين يديها وتربت عليها) أنت ! لا تزعج نفسك بالتفكير فيه . فكر فى والدتك التى تعطف علينا . حدثنى عن والدتك، يا ايبين .

ايبين : ليس لدى كثير أحكيه .. كانت عطوفة ، وطيبة.

آبى : (وهى تضع احدى ذراعيها فوق كتفه . لا يبدو عليه أنه لاحظ الحركة — فى عاطفة) وسأكون أنا عطوفة وطيبة معك !

ايبين : وأحيانا كانت تغنى لى .

آبى : وسأغنى أنا لك .

ايبين : هذا هو بيتها ، وتلك هى مزرعتها .

آبى : وهذا هو بيتى ، وتلك هى مزرعتى .

آيبين : وتزوجها ليسرقها ، كانت متسامحة متساهلة ، ولم يستطع أن يقدرها حق قدرها .

آبى : وهو لا يستطيع أن يقدرنى حق قدرى !

ايبين : قتلها بصلابته .

آبى : انه يقتلنى !

ايبين : لقد ماتت . (فترة صمت) كانت أحيانا تغنى لى.

(ينفجر فى نوبة من النشيج) .

آبى : (وذراعاها حوله ، بعاطفة وحشية) سأغنى لك . بل سأموت من أجلك ! (ورغم رغبتها العارمة فيه ، ففى تصرفها وصوتها حب أموى صادق — انه خليط رهيب صريح من الشهوة وحب الأم) لاتبك ، ياايبين ! سأحل محل والدتك ! وسأكون كل ما كانته لك ! ايبين ، دعنى أقبلك ! (تجذب رأسه وتديره ناحيتها . يبدى تظاهرا مرتبكا بالمقاومة . فتتحدث برقة) لا تخف ! سأقبلك قبلة طاهرة ، يا ايبين ، كما لو كنت والدتك تماما ، أما أنت فرد قبلتى كما لو كنت ابنى ، صبيى .. يحييني تحية المساء ! قبلنى ، يا ايبين ! (يقبل كل منهما الآخر

بتحفظ . ثم فجأة تسيطر عليها النشوة العارمة . فتقبله فى شهوة مرة بعد مرة ، ويلف هو ذراعه حولها ويبادلها القبلات . وعلى حين غـرة ، ومثلما حدث فى غرفة النوم ، يتخلص منها فى وحشية ، ويقفز واقفا على قدميه . يرتعد من رأسه الى أخمص قدميه ، وهو فى حالة رعب غريبة . تمد آبى ذراعيها ناحيته فى ضراعـة شرسـة) لا تتركنى يا ايبـين ! ألا ترى أنه لا يكفينى حب الأم ؟ ألا تستطيع أن تدرك أن حبنا ينبغى أن يكون هذا وأكثر منه ، أكثر منه بكثير ، أكثر منه مائة مرة ، لكى أكون سعيدة ، ولكى تكون أنت سعيدا ؟

ايبين : (الى الكائن الذى يحس بوجوده فى الغرفة) أماه ! أماه ! ماذا تريدين ؟ ماذا تقولين لى ؟

آبى : انها تطلب اليك أن تحبنى . انها تعلم أنى أحبك وانى سأكون طيبة معك . ألا تستطيع أن تحس بذلك ؟ ألا تعرف ؟ انها تقول لك : ! أحببها ، يا ايبين !

ايبين : أجل . انى أشعر .. ربما كانت تقـول ذلك ،

ولكنى لا أستطيع أن أتصور لماذا .. على حين انك سلبتها مكانها ، هنا ، فى بيتها ، وفى غرفة الجلوس حيث ..

آبى : (بوحشية) انها تعلم أنى أحبك !

ايبين : (يضىء وجهه فجأة بابتسامة منتصرة وحشية) انى أدرك الأمر ! أدرك السبب . انه انتقامها منه ، حتى تستطيع أن تستقر هادئة فى قبرها !

آبى : (بوحشية) انتقامها منه ! أو انتقامها منى ، وانتقامي منك ، وانتقامك منى ، وانتقامنا منه ! أو انتقام الرب منا جميعا ! لماذا تعير أى اهتمام لكل هذا ؟ انى أحبك يا ايبين ! الله يعلم انى أحبك ! (تمد ذراعيها اليه) :

ايبين : (يلقى بنفسه على ركبتيه بجوار الأريكة ، ويجذبها بين ذراعيه ، وهو يطلق العنان لكل عاطفته المكبوتة) وأنا أحبك ، يا آبى ! باستطاعتى الآن قولها ! كانت الرغبة المميتة فيك تجتاحنى اليك ، فى كل ساعة ، منذ أن جئت ! أحبك !

(تلتقى شفاهما فى قبلة عنيفة حارة) .

المنظر الرابع

خارج منزل المزرعة • الفجر قد اشرق لتوه •

(يفتح الباب الأمامى فى الجانب الأيمن ، ويخرج منه ايبين، ويسير حول المنزل متجها الى البوابة • يرتدى ملابس الشغل • يبدو انه قد تغير • يكتسى وجهه تعبير فيه جرأة واعتداد يبتسم لنفسه برضى واضح • حين يقترب من البوابة ، يسمع صوت نافذة غرفة الجلوس وهى تفتح ، ويدفع خصاصها الى الخلف ، وتبرز منها رأس آبى • شعرها يتناثر فى فوضى فوق كتفيها ، وجهها متورد ، تتطلع الى ايبين بعينين حنونتين ناعستين ، وتنادى برقة) •

آبى : ايبين . (وعندما يلتفت ، تقول فى مداعبة) قبلة واحدة فقط قبل أن تذهب ، فانى سأفتقدك بشكل فظيع طول اليوم .

ايبين : وسأفتقدك أنا أيضا ، ألديك شك فى هذا ! (يذهب اليها . يتبادلان القبل مرات عديدة . ينسحب مبتعدا ، ويقول ضاحكا) هه . فى هذا الكفاية ، أليس كذلك ؟ لن يتبقى عندك قبلة واحدة للمرة القادمة .

آبى : عندى لك مليون قبلة غير هذه ! (ثم بشىء من القلق) أتحبنى حقا ، يا ايبين ؟

ايبين : (مؤكدا) انى أميل اليك أكثر من أى فتاة عرفتها ! هذا هو الصدق الخالص !

آبى : ليس الميل هو الحب .

ايبين : حسن اذن ، أحبك . هل يرضيك هذا ؟

آبى : أجل ، انى راضية . (تبتسم له فى وله) .

ايبين : يحسن بى أن أذهب الى الحظيرة . من المحتمل أن يستسلم ذلك المخلوق العجوز للشك ، فيأتى ليستوضح الأمر .

آبى : (فى ضحكة الواثق من نفسه) فليفعل ! فى استطاعتى دائما أن أخدعه ! سأترك الخصاص مفتوحا ليدخل الشمس ، والهواء الى الغرفة . لقد ظلت هذه الغرفة فى موات بما فيه الكفاية . أما الآن فستكون غرفتى .

ايبين : (مقطبا) أجل .

آبى : (بسرعة) أقصد ، غرفتنا .

ايبين : أجل ...

آبى : لقد جعلناها غرفتنا ، فى الليلة الماضية . أليس

كذلك ؟ لقد بعثنا فيها الحياة ، بعث فيها حبنا الحياة . (فترة صمت) .

ايبين : (بنظرة غريبة) لقد عادت أمى الى قبرها . باستطاعتها أن تنام الآن .

آبى : فلنضرع أن ترقد فى سلام ! (ثم موبخة اياه ، برقة) لا تتحدث عن أشياء محزنة .. هذا الصباح .

ايبين : لقد خطرت هذه الفكرة ببالى من تلقاء نفسها .

آبى : لا تدعها تخطر ببالك . (لا يجيب ، تتثاءب) حسنا ، سأحاول أن أسترق اغفاءة . وسأقول للعجوز ، اننى لست على ما يرام . وليعد هو افطاره بنفسه .

ايبين : اننى ألمحه قادما من الحظيرة .. يحسن بك أن تصلحى من شأنك ، ثم تصعدى للطابق العلوى ..

آبى : أجل . الى اللقاء ، لا تنسنى .

(تقذف له بقبلة . يبتسم - ثم يفرد كتفيه ، وينتظر أباه فى ثقة . كابوت يسير على مهل آتيا من جهة اليسار ، وهو يحملق فى السماء بوجه فيه تعبير مبهم) .

ايبين : (بمرح) طاب صباحك ، يا والدى . أتحدق في النجوم في وضح النهار ؟

كابوت : انها رائعة ، أليس كذلك ؟

ايبين : (ينظر حواليه باحساس بالملكية) انها مزرعة غاية في الروعة .

كابوت : انى أقصد السماء .

ايبين : (مبتسما) وكيف تعرف ذلك ؟ ان عينيك لا تستطيعان الرؤية على ذلك البعد . (ويثير هذا فكاهته ، فيخبط فخذه ويضحك) . هو .. هو . تلك ملحة لطيفة !

كابوت : (فى سخرية عابسة) أرى انك تشعر بانتعاش حقيقى . من أين سرقت الشراب ؟

ايبين : (بلطف) انه ليس شرابا . انه مجرد الحياة . (يمد يده فجأة — برزانة) اننا تساوينا ، أنا وأنت ، فدعنا نتصافح .

كابوت : (بريبة) ماذا جرى لك ؟

ايبين : لا تصافحنى اذن ، ربما كان الوضع أفضل هكذا . (لحظة صمت) ماذا جرى لى ؟ (بلهجة غريبة) ألم تشعر بها وهى تمر بنا ، عائدة الى قبرها ؟

كابوت : (بذهول) من هى ؟

ايبين : أمى . باستطاعتها الآن أن تستقر وتنام راضية ، فقد صارت نداً لك .

كابوت : (بارتباك) لقد نلت راحتى . نمت جيدا ، هناك مع الأبقار . انها تعرف كيف تنام ، وهى تعلمنى.

ايبين : (فجأة ينقلب مرحا مرة أخرى) مرحى للأبقار ! هيه — الأفضل أن تذهب لعملك الآن ...

كابوت : (فى سرور لا يخلو من عبوس) أترأسنى ، أيها العجـل ؟

ايبين : (وقد أخذ يضحك) أجل ! اننى أرأسك ! ها . ها . ها ! فكيف تجد هذا ؟ ها . ها . ها ! اننى الديك الممتاز فى حظيرة الدجاج هذه .. ها . ها . ها ! (ينصرف متجها الى الحظيرة وهو يضحك) .

كابوت : (يتبعه بناظريه فى شفقة وازدراء) معتوه ، مثل أمه . صورة طبق الأصل منها . لا أمل فيه ! (يبصق فى ازدراء واحتقار) أبله بالسليقة ! (ثم بلهجة تقريرية) آه ، اننى أشعر بالجوع . (يذهب فى اتجاه الباب) .

القسم الثالث

المنظر الأول

ليلة فى أواخر ربيع العام التالى • يبدو المطبخ وغرفتا النوم العلويتان • غرفتا النوم ينيرهما ضوء خافت ينبعث من شمعة من دهن الحيوان فى كل منهما •

(ايبين جالس على جانب من الفراش الذى فى غرفته ، وذقنه مسند الى قبضته • وجهه لوحة معبرة ، تصور النضـــال الذى يبذله ليفهم عواطفه المتصارعة • أما الضحك الصاخب والموسيقى التى تنبعث من اسفل حيث تدور حفلة راقصة فى المطبخ ، فانهما تزعجانه ، وتشتتان أفكاره • ينظر الى الأرض فى تجهم •

فى الغرفة المجاورة يوجد مهد طفل الى جوار السرير المزدوج•

فى المطبخ الجو كله يوحى بحفل • فقد أنزل الموقـد ليعطى فسحة أكبر للراقصين • أما المقاعد ، فقد أضيفت اليهـــا أرائك خشبية ، وذفعت الى الخلف ، حيث الحوائط • وعلى تلك المقاعد والأرائك ، جلس المزارعون وزوجاتهم واقاربهـــم الشـــبان من الجنسين محشورين واحدا بجوار الآخر ، وقد جاءوا من المزارع المجاورة • الجميع يلغطون ويضحكون بأصوات عاليـــة • من الواضح انهم جميعا يحتفظون فيما بينهم بنكتـــة خاصـــة • الغمزات ، واللكزات ، والايماءات ذات المغزى تجاه كابوت لاتنتهى،

أما هو ففي أقصى حالات الانفعال والبشر ، وقد زاد من حدة فرحته كمية الشراب التى تناولها ، وهو يقف قريبا من الباب الخـــلفى حيث يوجد برميل صغير للويسكى ويقدم الشراب لكل الرجال • فى الركن الأيسر ، وفى المقدمة ، تجـــلس آبى فى كرسى هزاز ، تقتسم الاهتمام مع زوجها ، وقد لفت شالا حول كتفيها • انهـــا شاحبة جدا ، وجهها نحيل مخطوف اللون ، عيناها مركزتان فى قلق على الباب الخلفى المفتوح وكأنها تنتظر شخصا ما •

الموسيقى يضبط أوتار كمانه ، وهو جالس فى اقصى الركن الأيمن • انه شاب طويل نحيف ، ذو وجه طويل هزيل • عيناه الصفراوان تطرفان بلا انقطاع ، وهو يبتسم لنفســـه فى دهاء وخبث شره) •

آبى : (تستدير فجأة الى فتاة على يمينها) أين ايبين؟

الفتاة : (وهى تنظر اليها فى ازدراء) لا أعلم ، يا مسز كابوت . انى لم أر ايبين منذ دهور . (بلهجة ذات مغزى) يبدو وكأنه يقضى معظم وقته فى البيت منذ أن حضرت .

آبى : (بغموض) لقد حللت محل والدته ..

الفتاة : أجل سمعت عن هذا .

(تدير رأسها لتقص تلك الشائعة الصغيرة على أمها الجالسة الى جوارها • تلتفت آبى الى يسارها حيث يجلس رجل ضخم ممتلىء فى منتصف العمر ، يدل وجهـــه المتورد وعيناه الجاحظتان على كمية الشراب التى اجترعها) •

آبى : ألم تر ايبين ، هل رأيته ؟

الرجل : كلا ، لم أره (ثم يضيف وهو يغمز بعينيه) اذا كنت أنت لم تريه ، فمن اذن ؟

آبى : انه أحسن راقص فى المقاطعة ، كان ينبغى عليه أن يحضر ليرقص .

الرجل : (وهو يغمز) ربما كان يؤدى واجبه ، ويهدهد الطفل لينام . انه ولد ، أليس كذلك ؟

آبى : (تومىء برأسها فى غموض) أجل ، وقد ولد منذ أسبوعين ، انه جميل كصورة جميلة .

الرجل : الأطفال جميعا كذلك فى أعين أمهاتهم . (ثم فى همس وهو يلكزها وينظر اليها نظرة ماكرة) اصغى الى ، يا آبى .. اذا حدث فى أى وقت من الأوقات أن سئمت ايبين ، فتذكرينى ! لا تنسى هذا !

(يتطلع لحظة الى وجهها الذى يبدو عليه عدم الفهم ، ثم يزفر فى ازدراء) .

هيه ، لنشرب ثانية .

(يبتعد وينضم الى كابوت ، الذى يجادل فى صوت عال ، فلاحا مسنا عن الابقار . ويشربون جميعا)

آبى : (ضارعة فى هذه المرة الى لا أحد بالذات) ترى

ماذا يفعل ايبين ؟ (وتتكرر ملحوظتها من واحد الى آخر فى الصف مصحوبة بقهقهات وضحكات مكتومة حتى تصل عازف الكمان . فيركز عينيه اللتين تطرفان باستمرار على آبى) .

العازف : (رافعا من صوته) أستطيع أن أقول لك ياآبى. ماذا يفعل ايبين ! انه هناك فى الكنيسة ، يؤدى صلوات الشكر لله . (يضحك الجميع ضحكاتهم المكتومة فى ترقب) .

الرجل : لماذا ؟ (ضحكات مكتومة أخرى) .

العازف : لأنه منّ عليه .. (يتردد مدة طويلة بما فيه الكفاية) وأعطاه .. أخا !

(عاصفة من الضحك • الجميع ينقلون نظراتهم من آبى الى كابوت • انها تحملق فى الباب غير مصدقة • اما كابوت فرغم انه لم يسمع الكلمات ، الا أن الضحك أزعجه ، يخطو الى الأمام ، وهو يحملق فيما حوله • يسود السكون فى الحال) •

كابوت : فيم تثغون جميعا ، وكأنكم قطيع من الماعز ؟ لم لا ترقصون ، عليكم اللعنة ؟ لقد دعوتكم هنا لترقصوا ، لتأكلوا ، وتشربوا ، وتمرجوا ..

ولكن ها أنتم جالسون تنقون كأنكم سرب من الدجاج المبلل ، وقد أصابه داء الخناق ! لقد اجترعتم شرابى ، والتهمتم طعامى كالخنازير ، أليس كذلك ؟ ارقصوا من أجلى اذن ، أم لا تستطيعون ؟ هذا مطلب عادل ، أليس كذلك؟

(دمدمة تذمر تسرى بينهم ، ولكن من الواضح أنهم جميعا يخشونه جدا لدرجة لا يجسرون معها على التعبير عن تذمرهم بصراحة) .

العازف : (بخبث) اننا فى انتظار ايبين . (ضحكةمكتومة).

كابوت : (فى ابتهاج وحشى) الى الجحيم يا ايبين ! لقد انقضى عهد ايبين الآن ! انجبت ولدا جديدا ! . (يتغير مزاجه بفجائية السكارى) ولكن لاتضحكوا من ايبين ، لا يضحك أى منكم ! انه من دمى ، حتى ولو كان أبله غبيا . انه أفضل من أى واحد فيكم ! باستطاعته أن ينجز فى يومه أعمالا تقارب ما أستطيع أنا انجازه ، وهذا يصم أى واحد منكم بالعار ، أنتم أيتها المخلوقات المسكينة ! .

العازف : وفى استطاعته أيضا ، أن ينجز فى ليله أعمالا طيبة ! (ضحك قاصف) .

كابوت : اضحكوا ، أيها الأغبياء الملاعين ! لقد أصبت عين الحقيقة فى هذا ، أيها العازف ! فهو يستطيع أن يعمل ليل نهار ، مثلى أيضا ، اذا دعت الحاجة !

مزارع مسن : (من خلف برميل الويسكى حيث يترنح مخمورا الى الأمام والى الخلف ، ويقول فى سذاجة كبيرة) ليس بيننا الكثير ممن يستطيعون مجاراتك فى هذا ، يا افرابيم .. أن تنجب ولدا وأنت فى السادسة والسبعين . هذا أمر يحتاج لرجل صلب ! لقد كنت فى الثامنة والستين فحسب ، ولم أستطع أن أفعل هذا ! (عاصفة من الضحك ، ينضم كابوت اليها فى زئير يعلو ضحكات الجميع) .

كابوت : (وهو يخبطه على ظهره) انى آسف من أجلك . لم أكن أشك اطلاقا فى وجود مثل هذا الضعف فى فتى مثلك !

المزارع العجوز : وأنا كذلك لم أظن أبدا أن تلك القوة موجودة فيك يا افرابيم . (ضحكات أخرى) .

كابوت : (عابسا فجأة) لدى منها كمية وافرة ، وافرة جدا ، رغم أن الناس لا يعلمون .

(مستديرا الى العازف) اعزف ، عليك اللعنة !
اعزف لهم شيئا يرقصون على نغماته ! ما أفت ،
حلية ؟ أليس هذا احتفالا ؟ اذن حرك مرفقك ،
وابدأ العزف !

العازف : (يمسك كأس شراب مد يده به المزارع العجوز ويجترعه) فلنبدأ !

(يبدأ فى عزف مقطوعة « سيدة البحيرة » . يكون أربعة شبان وأربع فتيات صفين ، ويرقصان رقصة رباعية . يصيح العازف موجها تعليماته عن حركات الرقص المختلفة ، وهو يوائم بين كلماته وايقاع الموسيقى ، ويبث بين الكلمات ملاحظات شخصية فكهة تتعلق بالراقصين أنفسهم .. أما الجالسون بمحاذاة الجدران فهم يدقون باقدامهم ، ويصفقون بايديهم فى توافق . يبدو نشاط كابوت أكثر وضوحا فى هذه الحركة بالذات . آبى هى الوحيدة التى تبقى متبلدة ، وهى تحدق فى الباب ، وكأنها بمفردها فى غرفة ساكنة) .

العازف : در بزميلتك الى اليمين ! أجل هكذا ، جيم ! احتضنها جيد .. دا ! أمها لا تنظر اليكما . (ضحكات) غيروا زملاءكم ! هذا يلائمك ،

أليس كذلك اسى ؟ لقد صار رباب فى مواجهتك!
هلا نظرتم اليها ، وجهها يحمر خجلا ؟ ايه ،
الحياة قصيرة ، وكذلك عمر الحب كما يقولون.
(ضحكات) .

كابوت : (فى نشوة ، وهو يدق بقدمه) هيا يا أولاد !
هيا يا بنات !

العازف : (غامزا بعينه للآخرين) أنت أرشق من رأيت
فى سن السادسة والسبعين يا افراييم ! ولكن ،
آه لو استطعت أن ترى جيدا ! (ضحكات
مكتومة . لا يترك لكابوت أى فرصة للرد
اللاذع ، ولكنه يزأر) تحركوا . ساره ، انك
تخطين كما لو كنت عروسا تتهادى بين مقاعد
الكنيسة ! حسنا ، ما دامت هناك حياة ، فدائما
يوجد الأمل ! لقد سمعتهم يقولون هذا المثل .
أدر زميلتك الى اليسار ! يا الهى الجبار ، انظروا
الى جونى كوك وخطواته العالية ! لن تبقى قوة
لتعملوا فى حقل القمح غدا . (ضحك) .

كابوت : هيا ! هيا ! (وفجأة ، يصبح غير قادر على كبح
نفسه مدة أطول ، فيقفز وسط الراقصين ، ويبعثر

صفوفهم ، ويلوح بذراعيه فى وحشية) أنتم جميعا بهائم ! ابتعدوا عن طريقى ! افسحوا لى مكانا ! سأريكم الرقص ! أنتم جميعا عظامكم لينة ! (يدفعهم بعيدا بخشونة . يتزاحمون الى الخلف بجوار الحوائط ، وهم يغمغمون وينظرون اليه فى استياء) .

العازف : (بسخرية) هيا يا افرايم ! هيا ! (يبدأ فى عزف مقطوعة « ابن عرس يسير مسرعا » وهو يزيد سرعة الايقاع مع كل بيت من الأغنية ، حتى يعزف فى النهاية بجنون وبأسرع ما يستطيع) .

كابوت : (يبدأ فى الرقص ، وهو يؤديه بشكل متسق جدا ، وبحيوية مذهلة وبعدئذ يأخذ فى ابتداع حركات ، يقفز قفزات مضحكة لا تصدق ، يثب الى أعلا ثم يصفق عقبيه كل بالآخر ، ويثب حول نفسه فى دائرة وجسده مثنى فى رقصة حرب هندية ، ثم يشد جسده فجأة ، ويرفص الهواء عاليا بأقصى ما فى استطاعته برجليه الاثنين .. انه يشبه قردا على حبل . وطول الوقت يطغم

حركاته الماجنة بصيحات وتعليقات لاذعــة)
هوب ! هذا هو الرقص أمامكم ! هوب ! أترون
هذا ! ستة وسبعون عاما ، ان لم يكن أزيد !
ولكنى لا زلت صلبا كالحديد ! متفوق على
الشباب كما كنت دائما ! أنظروا الى ! سأدعوكم
للرقص فى عيد ميلادى المائة ، ولكنكم ستكونون
جميعا فى عداد الأموات حينذاك ! أنتم جيل
مريض ! قلوبكم باهتــة ، وليست حمــراء !
عروقكم مملوءة بالطين والماء ! سأكون أنا الرجل
الوحيد فى المقاطعة ! هوب ! انظروا الى تلك
الحركة ! اننى هندى ! لقد قتلت هنــودا فى
الغرب قبل أن تولدوا . وسلخت فروات رءوسهم
أيضا ! فى ظهرى جرح من أثر سهم ، يمكننى
أن أريه لكم ! طاردتنى القبيلة بأكملها وسبقتهم
جميعا .. والسهم مغروس فى جسدى ! ثم انتقمت
منهم .. عشرة عيون بعين واحدة ذلك كان مبدئى!
هوب ! انظروا الى ! باستطاعتى أن أرفس سقف
الغرفة ! هوب !

العازف : (يوقف العزف منهكا) يا الهى الجبار ، لقد

نالنى ما فيه الكفاية . ان فى أعمـاقك قـوة
الشيطان ..

كابوت : (مبتهجا) هل تغلبت عليك أنت أيضا ؟ حسنا ،
ولكن عزفك كان متقنا . اشرب كأسا . (يصب
ويسكى له وللعـازف . يشربان . الآخـرون
يرقبون كابوت فى سكون ، بعيون باردة عدائية.
فترة صمت قاتل . يستريح العازف . يسـتند
كابوت الى برميـل الويسكى ، وهو يلهث ،
ويحدق فيما حوله فى اضطراب . فى الغـرفة
العليا ، ينهض ايبين على قدميه ، ويسـير على
أطراف أصابعه خارجا من الباب الخلفى ، ثم
يظهر بعد لحظة فى غرفة النوم الأخرى . يتحرك
فى سكون ، بل وفى وجل ، تجاه المهد ، ويقف
هناك وهو يتطلع الى الطفل . على وجهه تعبير
غامض ، مثل الاضطراب الذى فى انفعالاته ،
ولكن يوجد فيه أثر حنان ، واستمتاع بالاكتشاف .
فى نفس اللحظة التى يصل فيها الى المهد ، يبدو
أن آبى تحس شـيئا ما . تنهـض فى تهالك ،
وتذهب الى كابوت) .

آبى : سأصعد للطفل .

كابوت : (فى اخلاص حقيقى) هل فى مقدورك صعود السلم ؟ أتريدين منى مساعدتك ، يا آبى ؟

آبى : كلا . فى مقدورى الصعود . سأعود الى أسفل حالا .

كابوت : لا تجهدى نفسك ! فانه محتاج اليك ، تذكرى أن ابننا يحتاجك ! (يبتسم فى حنان وهو يربت على ظهرها . تجفل من لمسته) .

آبى : (باكتئاب) لا .. تلمسنى .. أنى .. صاعدة . (تمضى . ينظر كابوت فى اثرها . ينتشر همس فى الغرفة . يستدير كابوت . يخفت الهمس . يمسح جبهته التى ينثال عليها العرق . يلتقط أنفاسه لاهثا) .

كابوت : سأخرج لأستنشق بعض الهواء النقى . أشعر بدوار شديد . أعزف أنت هناك ! ارقصوا ، كلكم ! ها هو الشراب أمامكم لمن يريد . متعوا أنفسكم . سأعود . (يذهب ، وهو يغلق الباب خلفه) .

كابوت : (بسخرية) لا تتعجل العودة مطلقا من أجلنا (ضحكات مكبوتة . مقلدا آبى) أين ابين ؟

(مزيد من الضحك)

امرأة : (بصوت مرتفع) ان ما حدث فى هــذا البيت واضح مثل الأنف الذى فى وجهك !

(تظهر آبى فى مدخل الباب فى الطـــابق العلوى ، وتقف وهى تنظر فى دهشة ووله الى ايبين ، الذى لايراها) .

الرجل : هش ! من المحتمل انه يسترق السمع من وراء الباب . فهذا ليس بمستبعد عليه .

(تغيض اصواتهم الى همس مفرط . تبدو على وجوههم امارات الاهتمام بالشــائعة . ومن الغرفة تصدر أصوات مثـــل حفيف الأوراق الجافة حين تعبث بهـــا الريح . كابوت قد خرج من السقيفة ، وهو يقف عند البوابة ، مستندا اليها ، ويحدق فى السماء وعيناه تطرفان . تعبر آبى الغرفـــة فى سكون . لا يلحظها ايبين حتى تصير قريبة جدا منه) .

ايبين : (مأخوذا) آبى !

آبى : هس ! (تلقى بذراعيها حوله . يقبل كل منهما الآخر ، ثم ينحنيان سويا فوق مهــد الطفل) أليس رائعا ؟ صورة طبق الأصل منك !

ايبين : (مبتهجا) هل هو كذلك ؟ اننى لا أستطيع أن ألمح ذلك مطلقا ..

آبى : يشبهك تماما !

ايبين : (عابسا) أنا لا أحب هذا . لا أحب أن أترك له ما هو ملكى . لقد ظللت أفعل هذا طول حياتى ، لم أعد أتحمل المزيد !

آبى : (وهى تضع أصبعها على شفتيه) اننا نفعل خير ما نستطيع . علينـا أن ننتظر . حتم أن يحدث شىء . (تضع ذراعيها حوله) علىّ أن أعود .

ايبين : سأخرج . لا أستطيع احتمال هـذا الوضع .. الكمان يرسل أنغامه والضحكات تتعالى .

آبى : لا تكتئب . يا ايبين ، انى أحبـك . قبلنى . (يقبلها . ويظل كل منهما بين ذراعى الآخر) .

كابوت : (عند البوابة، فى حيرة) حتى الموسيقى لاتستطيع أن تطـرده ، ذلك الشىء الذى تحس به وهو يسقط من شجر الدردار ، ويصعد فوق السقف، ويتسلل من المدخنـة ، ثم يتأهب للوخـز فى الأركان .. السـلام لا يوجد فى البيـوت ، ولا تتوافر الراحة فى الحياة مع الناس . هنـاك

شيء ما يعيش معك دائما . (في تنهيدة عميقة)
سأذهب الى الحظيرة وأستريح هناك قليلا .
(يسير في تثاقل تجاه الحظيرة) .

العازف : (يضبط أوتار كمانه) فلنحتفل بخديعة ذلك العجوز الحقير ! الآن نستطيع أن نمرح قليلا ، ما دام قد انصرف . (يبدأ في عزف مقطوعة « ديك رومي بين القش » . يسود الآن مرح حقيقي . وينهض الشباب للرقص) .

المنظر الثانى

(بعد نصف ساعة ، خارج البيت ، ايبين يقف بجوار البوابة، وهو يتطلع الى السماء ، وعلى وجهه تعبير من الألم الصامت محير فى أمر نفسه • يظهر كابوت ، عائدا من الحظيرة ، وهو يسير فى تثاقل ، وعيناه الى الأرض • يرى ايبين ، وفجأة يتغير مزاجه تماما • يتوتر ، تتسرب الى شفتيه ابتسامة قاسية منتصرة يخطو الى الامام ويخبط ايبين على ظهره • ويتناهى من الداخل صوت الكمان الشاكى وضوضاء وقع الاقدام ، والأصوات الضاحكة) •

كابوت : اذن فأنت هنا !

ايبين : (مرتبكا ، يحدق فيه لحظة بحقد ، ثم يقول فى غباء) أجل .

كابوت : (يتفحصه فى استهزاء) لم لم تأت الى الرقص ! كان الجميع يسألون عنك .

ايبين : دعهم يسألون !

كابوت : كانت هناك شحنة كاملة من الفتيات الجميلات..

ايبين : فليذهبن الى الجحيم !

كابوت : ينبغى عليك أن تتزوج احداهن قريبا .

ايبين : لن أتزوج واحدة .

كابوت : تستطيع بهذه الوسيلة أن تصبح شريكا فى مزرعة .

ايبين : (بابتسامة ساخرة) أتقصد ، مثلما فعلت أنت ؟ اننى لست من هذا الصنف .

كابوت : (مأخوذا) أنت تكذب ! انهم أقارب أمك الذين أرادوا أن يسرقوا مزرعتى منى .

ايبين : ولكن الآخرين لا يقولون هذا . (بعد برهة ، فى تحد) على أية حال ، لقد حصلت على مزرعة!

كابوت : (بسخرية) أين ؟

ايبين : (يدق الأرض باحدى قدميه) هنا .

كابوت : (يدفع رأسه الى الوراء ، ويضحك ضحكة خشنة) هو — هو ! أنت تمتلك المزرعة ، أحقا تمتلكها ؟ حسنا ، تلك نكتة لطيفة !

ايبين : (متمالكا نفسه ، بعبوس) سترى .

كابوت : (محدقا فيه فى ريبة ، محاولا أن يحمله على أن يبوح بما فى نفسه ، فترة صمت ، ثم فى ثقة وازدراء) أجل . سأرى . وسترى أنت أيضا . انك أنت الأعمى ، أعمى كخلد تحت الأرض . (يضحك ايبين فجأة ضحكة ساخرة واحدة

كأنها نباح : « ها » فترة صمت . يحدق فيه
كابوت وقد تجدد شكه) من أى شيء تضحك ؟
(ايبين يشيح عنه دون أن يجيب . يتفاقم غضب
كابوت) يا الهى الجبـار ، انك لغبى أحمق !
لا يوجد شيء فى جمجمتك السـميكة تلك ،
سوى ضوضاء — وكأنها برميل فارغ ! (يبدو
وكأن ايبين لا يسمع . يتزايد غضب كابوت)
مزرعتك ! يا الهى الجبار ! لو لم تولد حمارا
بطبيعتك ، لعرفت انك لن تمتلك قط قشة أو
حجرا على أرضها ، وخاصة الآن بعد أن ولد لى
ولد . انها مزرعته ، انى أقولها لك — ستكون
مزرعته بعد مماتى — ولكنى سأعيش مائة سنة
لمجرد أن أسخر منكم جميعا ، وحينئذ سيكون
قد كبر ، سيكون تقريبا فى مثل سنك ! (يضحك
ايبين مرة أخرى ضحكته الساخرة « ها » .
وهذا يقود كابوت الى الثورة) ها ؟ أتعتقد انك
تستطيع أن تتحايل على الوضع بطريقة ما ، هل
تعتقد ذلك ؟ حسنا ، ستكون مزرعتها أيضا
— مزرعة آبى — فأنت لن تستطيع خداعها ،

فهى تعرف ألاعيبك ، وستكون أكثر من ند لك — انها تريد أن تكون المزرعة لها — لقد كانت تخشاك ، وأخبرتنى انك كنت تلاحقها محاولا أن تبثها الغرام حتى تكسبها الى صفك .. أنت.. أنت أيها الغبى المجنون ، أنت ! (يرفع قبضتيه المضمومتين مهددا) .

ايبين : (يصبح فى مواجهته ، وهو يحتدم من الغضب) أنت تكذب ، أيها العجوز النتن ! لم تقل آبى أبدا شيئا كهذا !

كابوت : (منتصرا فجأة حين يرى كيف أخذ ايبين) بل قالت . وقلت لها ، اننى سأجعل مخه يتناثر على قمم شجرات الدردار تلك . فقالت ، كلا ، ليس هذا صوابا . اذ من يعينك فى المزرعة بدلا منه ، وبعدئذ قالت ، ينبغى أن ننجب ولدا أنا وأنت ، ثم أضافت ، اننى أعلم اننا نستطيع . وقلت انا ، اذا أنجبناه استطعت أن تحصلى على أى شىء ترغبين مما أملك . وقالت : أريد أن يطرد ايبين حتى تصير هذه المزرعة ملكا لى حين تموت ! (بنظرة رهيبة) وكان هذا ما حدث ،

أليس كذلك ؟ والمزرعة الآن ملكها ! أما غبار الطريق — فهذا ما تمتلكه أنت ! ها ! والآن من الذى له أن يضحك ؟

ايبين : (كان مصغيا ، وهو مذهول من الغم والغضب — ثم يضحك فجأة فى وحشية ، وانكسار) ها . ها ها ! اذن فتلك لعبتها الدنيئة كانت تخفيها طول الوقت ! تماما كما قالت لى شكوكى منذ البداية .. أن تلتهم كل شىء ، وأن تلتهمنى أنا أيضا ! (بجنون) سأقتلها !

(يقفز تجاه السقيفة ، ولكن كابوت اسرع منه ، فيقف بينه وبينها) .

كابوت : كلا ، لن تفعل !

ايبين : ابتعد عن طريقى !

(يحاول ان يقذف بكابوت بعيدا . يتشابكان ، وفى الحال يتحول ذلك التشابك الى معركة قاتلة . ان قوة العجوز المختزنة كبيرة جدا بالنسبة لايبين . يتمكن كابوت من مسك رقبته باحدى يديه ، ويضغط الى الخلف ، وهو يثنيه فوق السور الحجرى . فى نفس اللحظة تخرج آبى الى السقيفة . تطلق صرخة مخنوقة وهى تهرع ناحيتهما) .

آبى : ابين ! افرايم ! (تجذب بعنف اليد التى على رقبة ابين) دعه يا افرايم ! أنت تخنقه !

كابوت : (يبعد يده ، ويقذف بابين جانبا بكل قوته ، فيسقط على العشب ، يلهث ويصدر حشرجة . تصرخ آبى ، وتركع الى جوارد ، محاولة وضع رأسه فى حجرها ، ولكنه يدفعها بعيدا . يقف كابوت وهو يتطلع الى أسفل فى انتصار وحشى). ليس هناك ما يدعو للخوف ، يا آبى ، فلم أكن أنوى قتله . انه لا يساوى أن يشنق الانسان من أجله ، بأى حال من الأحوال ! (انتصاره يتزايد أكثر فأكثر) ستة وسبعون عاما ، بينما لم يتجاوز هو الثلاثين بعد ، وانظرى ماذا حدث له، حين اعتقد أن أباه هيّن ! كلا ، والله لست هينا ! وهذا الذى هناك فى الطابق العلوى ، سأنشئه حتى يكون مثلى ! (يستدير ليتركها) سأذهب الى الداخل لأرقص ! لأغنى وأحتفل ! (يسير الى السقيفة — ثم يستدير وعلى وجهه ابتسامة عريضة) أعتقد أنه لم تعد لديه قوة ، ولكن لو حاول ازعاجك ، فليس عليك الا أن تنادى ، يا آبى .

وسآتى جريا ، وأقسم بالرب الخـالد ، اننى سأضعه على ركبتى وأضربه بالعصا ! ها . ها ها!

(يدخل المنزل وهو يضحك . بعد لحظـة تسمع صيحته العالية «هوب») .

آبى : (بحنان) ايبين ! هل أوذيت ؟ (تحاول تقبيله ، ولكنه يدفعها بعيدا فى قسوة ، ويجاهد ليأخذ وضع الجلوس) .

ايبين : (وهو يجاهد لالتقاط أنفاسـه) اذهبى الى الجحيم !

آبى : (غير مصدقة أذنيها) ايبين أنا التى تحدثك .. آبى .. ألا تعرفنى ؟

ايبين : (يحدق فيها فى كراهية) أجـل .. أعرفك .. الآن !

(ينهار فجأة وينشج فى ضعف) .

آبى : (بخوف) ايبين .. ماذا حدث لك .. لماذا تنظر الى كما لو كنت تكرهنى ؟

ايبين : (بقسوة ، بين نشيجه وشهقاته) وانى أكرهك فعلا ! أنت عاهرة ملعونة مخادعة !

آبى : (تتقهقـر الى الخلف فى رعب) ايبين ! أنت لا تدرى ما تقول !

ايبين : (يزحف محاولا الوقوف على قدميه ، ويتبعها وهو يقول فى اتهام) أنت لست الا حفنة تننة من الأكاذيب . لقد كنت تكذبين على فى كل كلمة قلتها ، نهارا وليلا ، منذ أول مرة .. فعلناها . لقد ظللت تقولين انك تحبيننى ..

آبى : (بهوس) وانى أحبك فعلا ! (تتناول يده ، ولكنه يدفعها بعيدا) .

ايبين : (دون اكتراث) لقد جعلت منى أبلها .. أبلها غبيا مريضا .. عن عمد ! كنت فقط تلعبين لعبتك الدنيئة المتلصصة طول الوقت ، وجعلتنى أمارس الحب معك حتى تنجبى طفلا يعتقد انه ابنه ، وجعلته يعد باعطائك المزرعة ، ثم يجعلنى آكل التراب ، لو انجبت له ابنا ! (يحدق فيها بعينين معذبتين حائرتين) لابد أن يكون هناك شيطان يقبع داخلك ! لا يمكن ان يكون المرء بشرا وبهذا السوء !

آبى : (مأخوذة — وببلادة) هل أخبرك .. ؟

ايبين : أليس هذا صحيحا ؟ لا جدوى من كذبك ..

آبى : (فى توسل) ايبين ، اصغ الى ، حتم أن تصغ ،

لقد كان ذلك منذ امد بعيد ... وقبل ان يحدث بيننا أى شيء .. كنت تحتقرنى .. وتذهب لزيارة مين ، بينما كنت انا احبك .. وقلت له هــــذا الكلام كى انتقم منك !

ايبين : (دون اكتراث . وفى عاطفة معــذبة) يا ليتنى مت قبل هذا ! كم اتمنى لو كنا متنا ســويا منذ وقت طويل ، وقبل أن يقع هــذا ! (فى غضب) ولكنى ، سأحقق انتقامى ، أنا الآخر ! ساضرع الى امى ان تعود لتساعدنى . لتصب لعنتها عليك وعليه !

آبى : (فى انكسار) كلا ، لا تفعل ايبين ! لا تفعل ! (تلقى بنفسها على ركبتيها امامه ، وهى تبكى) لم أقصد الاساءة اليك ! سامحنى ، أرجوك أن تسامحنى !

ايبين : (لا يبدو عليه انه سمعها — بوحشيه) سأكون صريحا مــع ذلك العجوز الحقير — ومعك ! سأخبره بحقيقة الابن الذى يفخر به كل ذلك الفخر ! ثم سأترككما هنا ليســمم كل منكما الآخر ، وســتخرج امى من قبرها اليكما فى

الليالى ، ثم سأذهب الى حقـول الذهب فى كاليفورنيا حيث يوجد سيم وبيتر .

آبى : (فى رعب) لن .. تتركنى ؟ انت لا تستطيع !

ايبين : (فى تصميم قاس) اقول لك ، انى ذاهب ! وهناك سأصيب الثروه ، وسأعود لأقاتله لأسترد المزرعة التى سرقها ، وسأطردكما أنتمـا الاثنين الى الطريق ، لتتسولا وتناما فى الغابات ، ومعكما ابنكما ، ليموت جوعا ويهلك ! (يصير فى حالة هيستريه عند نهاية كلامه .)

آبى : (وهى ترتعد ، فى ذلة) انه ابنك أيضا ، يا ايبين

ايبين : (فى عذاب) كم اتمنى لو انه لم يولد قط ! كم أتمنى لو يموت فى هذه اللحظة ! كم اتمنى لو لم تقع عيناى عليه ابدا ! انه هو السبب ، فلقد انجبته بقصد السرقة .. وهذا ما غير كل شىء !

آبى : (فى رقة) هل صدقت انى كنت أحبك قبـل مجيئه ؟

ايبين : اجل ، مثل أى ثور غبى !

آبى : وانت لا تصدق هذا الآن ؟

ايبين : أصدق لصة كاذبة ! ها !

آبى : (ترتعد — ثم فى ذلة) وهل كنت تحبنى حقا من قبل ؟

ايبين : (فى انكسار) أجل ، ولكنك كنت تخدعيننى !

آبى : ولم تعد تحبنى الآن اطلاقا ؟

ايبين : (فى قسوة) اننى اقول لك ، أنا اكرهك !

آبى : وهل ستذهب الى الغرب حقا ، وهل ستهجرنى.. كل هذا بسبب الولد ؟

ايبين : سأذهب فى الصباح ، والا فليصعقنى الله فى الجحيم !

آبى : (بعد برهة — فى تصميم بارد رهيب — ببطء) اذا كان الولد سيجر على كل هذا — اذا كان سيقتل حبك ، ويبعدك عنى .. وأنت فرحتى الوحيدة .. الفرحة الوحيدة التى عرفتها طول حياتى .. الفرحة التى كانت كالجنة بالنسبة لى.. بل أروع من الجنة . اذا كان مجيئه سيجلب كل هذا ، فأنا أكرهه أنا الأخرى ، أكرهه رغم كونى أمـه !

ايبين : (فى مرارة) أكاذيب ! أنت تحبينه ! انه سيسرق لك المزرعة ! (بانهيار) ولكن ليست المزرعة هى

انتى تفوز باهتمامى الاول .. أو أنهــا لم تعد كذلك .. انما المهم هو انك خدعتنى ، جعلتنى أقع فى حبك ، كذبت فى قولك انك تحبيننى .. كل هذا لمجرد سرقة .. !

آبى : (ذاهلة) لن يسرق ! سأقتله قبل أن يفعل ! انى احبك ! وسأبرهن لك ..

ايبين : (فى خشونة) لم يعد جدوى من الكذب ... اننى أصم أذنى عن كلماتك ! (يستدير عنها) لن أراك مره اخرى . وداعا !

آبى : (شاحبة من العذاب) ألا تحاول حتى تقبيلى — ولو مرة واحــدة — بعد كل ما كان بيننا من حب .. ؟

ايبين : (فى نبرة قاســية) لا أريد تقبيلك أبدا مرة أخرى ! أريد أن أنسى أن عينى وقعتا قط عليك!

آبى : ايبين ! لا ينبغى ان تفعل ، انتظر قليلا ، أريد ان اقول لك انى ....

ايبين : سأذهب لأسكر وارقص ..

آبى : (متعلقة بذراعه فى حماس عاطفى) لو استطعت ان افعلها ، لو دبرت الامر بحيث يبدو وكأن الطفل لم يحل بيننا قط ، لو استطعت أن أبرهن

لك أننى لم أكن أدبر سرقتك ، وأن أعمل حتى يعود كل شيء بيننا كما كان تماما ، أن نحب بعضنا كما كنا ، أن نتبادل القبل ونكون سعيدين ، مثلما كنا سعيدين طوال تلك المدة ، لو استطعت أن أفعل هذا ، فستحبنى ثانية ، أليس كذلك ؟ ستقبلنى ثانية ؟ ولن تتركنى أبدا ، أليس كذلك؟

ايبين : (متأثرا) أجل (ثم يهز يدها بعيدا عن ذراعه — بابتسامة مريرة) ولكنك لست الاله القادر ، أليس كذلك ؟

آبى : (متهللة) تذكر انك وعدت ! (ثم فى عزم غريب) ربما أستطيع أن أنقض عملا واحدا ، مما يقوم به الرب !

ايبين : (محدقا فيها) هل تراك جننت ؟ (ثم يتجه ناحية الباب) سأذهب للرقص .

آبى : (تنادى عليه فى اصرار) سأبرهن لك ! سأبرهن لك اننى أحبك أكثر من .. (يدخل من الباب ، ولا يبدو عليه انه سمع . تظل واقفة مكانها ، وهى تنظر فى أثره . ثم تتم جملتها فى يأس) أكثر مما عداك فى العالم أجمع !

المنظر الثالث

الصباح ، قبل اشراق الفجر مباشرة ـ يظهر المطبخ ومخدع كابوت •

(فى المطبخ ، يجلس ايبين فى ضوء شمعة موضوعة فوق المنضدة ، وهو يسند ذقنه الى يديه ، وجهه المسحوب جامد وخال من التعبير • حقيبته المصنوعة من قماش السجاد بجواره على الأرض • مخدع كابوت، ينيره ضوء خافت منبعث من مصباح زيتى صغير ، ويرقد هو مستغرقا فى النوم • آبى منحنية فوق مهد الطفل ، وهى تنصت ، وجهها ملء بالرعب ، وفيه تيار خفى من اليأس • فجأة ، تنهار وتنشج ، وتبدو كما لو كانت ستلقى بنفسها على ركبتيها الى جوار المهد ، ولكن العجوز يتقلب قلقا ، وهو يئن فى نومه ، فتضبط اعصابها ، ثم تنكمش مبتعدة عن المهد فى حركة مذعورة ، وتسير القهقرى بسرعة تجاه الباب الخلفى ، ثم تخرج • وبعد لحظة تدخل المطبخ ثم تهرع الى ايبين، وتلقى بذراعيها حول رقبته وتقبله بوحشية • يتصلب ، ويبقى جامدا باردا ، وينظر امامه مباشرة) •

آبى : (بلهجة هستيرية) لقد فعلتها ، يا ايبين ! قلت لك انى سأفعلها ! لقد برهنت لك على انى أحبك .. أكثر من أى شىء آخر..حتى لا يتسرب اليك الشك من ناحيتى بعد ذلك أبدا !

ايبين : (فى تثاقل) مهما فعلت ، فلن يكون من ذلك جدوى الآن .

آبى : (فى وحشية) لا تقل هذا ! قبلنى ، يا ايبين ، هلا فعلت ؟ اننى أحتاج قبلتك بعد الذى فعلته! أحتاج منك أن تقول انك تحبنى !

ايبين : (يقبلها دون عاطفة — ثم فى تثاقل) تلك قبلة الوداع ، فاننى راحل الآن .

آبى : كلا .. كلا ! لن ترحل .. ليس الآن !

ايبين : (مستطردا من خلال أفكاره الخاصة) كنت أفكر فى الأمر ، والآن لا أنوى أن أقول شيئاً لأبى . سأترك والـدتى تقتـص منكما . فلو أخبرته . فان ذلك العجوز الحقير ، سيكون من الدناءة النتنة بحيث ينزل غضبه على ذلك الطفل (تظهر العاطفة فى صوته رغما عنه) وأنا لا أرغب فى حدوث أى مكروه له . انه ليس الملوم على أعمالك (ثم يضـيف فى زهو غريب) ثم انه يشبهنى . ووالله ، انه ملكى ويوما ما سأعود و..

آبى : (مستغرقة فى أفكارها بحيث لا تنصت اليه — فى تضرع) لم يعد هناك سبب لرحيلك الآن ،

لم يعد هذا صوابا ، لقد عاد كل شيء كما كان، لم يعد هناك أى شيء يقف بيننا الآن ، بعد ما فعلت !

ايبين : (منزعجا من نبرة ما فى صوتها ، يحدق فيها بشيء من الخوف) أنت تبدين كالمجنونة ، آبى. ماذا فعلت ؟

آبى : لقد .. لقد قتلته ، يا ايبين .

ايبين : (مذهولا) قتلته ؟

آبى : (بغباء) أجل ..

ايبين : (مفيقا من دهشته — بوحشية) هذا ما يستحقه! ولكن ينبغى علينا أن نفعل شيئا بسرعة لنجعل الأمر يبدو كما لو كان ذلك العجوز النتن قد قتل نفسه حين كان مخمورا . نستطيع أن نستشهد بهم جميعا ، الى أى حد بلغ به السكر.

آبى : (بوحشية) كلا ! كلا ! ليس هو ! (تضحك فى ذهول) ولكن هذا ما كان ينبغى على أن أفعله، أليس كذلك ؟ كان يتحتم على قتل العجوز بدلا منه ! لماذا لم تقل ذلك من قبل ؟

ايبين : (مذهولا) بدلا منه ؟ ماذا تعنين ؟

آبى : لم يكن هو .

ايبين : (يصير وجهه كالشبح) أنت لا تعنين! .. ذلك الطفــل !

آبى : (فى غباء) بلى !

ايبين : (يسقط على ركبتيه ، كما لو كان قد تلقى ضربة — صوته يرتعــد من الرعب) أوه ، يا الهى الجبار ! يا الهى الجبار ! أماه ، أين كنت ، لم لم تمنعيها ؟

آبى : (ببساطة) لقد عادت الى قبرها فى تلك الليلة التى أقدمنا فيها على الفعلة أول مرة ، أتذكر ! لم يحس أحد بوجودها هنا منذ تلك اللحظة ! (فترة صمت . يخفى ايبين رأســه بين يديه ، وجسده كله يرتعد ، كما لو كان مصابا بالملاريا . وتستطرد هى فى تثاقل) تركت الوسادة فوق وجهه الصغير . ثم قتل هو نفسه . توقفت أنفاسه . (تبدأ فى البكاء بهدوء) .

ايبين : (وقد بدأ غضبه يختلط بحزنه) كان يشبهنى . كان منى ، عليك اللعنة !

آبى : (ببطء وانكسار) لم أرغب فى أن أفعل ذلك .

وكرهت نفسى لأنى أقدمت عليه . كنت أحبه . كان فى غاية الجمال . صورة طبق الأصل منك. ولكن حبى لك كان أكثر ، وكنت سترحل الى مكان بعيد ، حيث لن أستطيع رؤيتك أبدا مرة أخرى ، حيث لن أستطيع أن أقبلك أبدا ، حيث لن أستطيع أن أحس بك وأنت تضمنى اليك المرة تلو المرة ، ثم قلت انك تكرهنى لأنى أنجبته ، قلت انك تكرهه وتتمنى موته ، وقلت انه لو لم يأت لظل الأمر بيننا كما كان من قبل تمـاما ...

ايبين : (غير قادر على تحمل ذلك ، يقفز على قدميه فى حنق ، مهددا اياها ، كأن أصابعه المتقلصة تمتد لتقبض على عنقها) أنت تكذبين ! لم أقل أبدا .. لم أتصور مطلقا انك .. كان أهون على أن أطيح برأسى قبل أن أمس اصبعا من أصابعه!

آبى : (فى استجداء ، وهى تسقط على ركبتيها) ايبين، لا تنظر الى هكذا ، لا تكرهنى ، لا ليس بعد ما فعلته من أجلك ، من أجلنا ، ولكى نستطيع أن نعيش سعيدين مرة أخرى ..

ايبين : (وقد احتدم غضبه) اسكتى والا قتلتك ! اننى

أفهم لعبتك الآن .. نفس اللعبة القديمة القذرة.
أنت تأملين أن تلقى عـلى وزر جريمتك التى اقترفتها !

آبى : (وهى تئن ، وتضع يديها على أذنيها) لا تقل هذا ، يا ايبين ! لا تقل هذا ! (تتشبث بساقيه)

ايبين : (تتغير حالته فجأة الى الفزع ، ينكمش مبتعدا عنها) اياك أن تلمسينى ! أنت سـم ! كيف استطعت أن تقتلى مخلوقا صغيرا مسكينا .. لا شك انك قذفت بروحك الى الجحيم ! (ينقلب غاضبا فجأة) ها ! أستطيع الآن أن أدرك لم فعلتها ! ليس من أجل الأكاذيب التى قلتها لى الآن ، ولكن لأنك أردت السرقة مرة أخرى ، سرقة آخر شىء تركته لى ، نصيبى فيه .. كلا ، بل سرقته كله ، كنت ترين أنه يشبهنى ، وكنت تعلمين أنه بأكمـله ملكى أنا ، ولم تستطيعى احتمال ذلك .. اننى أعرفك ! لقد قتلته لأنه كان ملكى ! (كل هذا الحديث قد أوصـله تقريبا الى الجنون . يندفع الى الباب متجاوزا اياها — ثم يستدير — ويهز قبضتيه نحوها ، بعنف) ولكن انتقامى سيكون الآن ! سأحضر

المأمور ! سأخبره بكل شيء ! وبعدئذ ، سأغنى « انني ذاهب الى كاليفورنيا » ثم سأذهب وراء الذهب .. حيث بوابة ذهبية ، وشمس من ذهب .. ومناجم ذهب فى الغرب ! (هذه الجملة الأخيرة يقولها بين صياح وترنم بشكل متنافر ، ثم ينهار فجأة ويقول فى انفعال) سأذهب فى طلب المأمور ، ليأتى ويأخذك ! أريد أن يأخذوك بعيدا وتحجزى عنى ! لا أقوى على أن أحتمل النظر اليك فسواء كنت قاتلة ولصة أم لا ، فلا زال اغراؤك متسلطا على ! سأسلمك للمأمور! (يستدير ويجرى خارجا ، ويدور حول ركن المنزل ، وهو يلهث وينشج ثم يستسلم لعدو سريع متعرج فى الطريق) .

آبى : (تجاهد للوقوف على قدميها ، ثم تجرى الى الباب ، وتنادى عليه) انى أحبك يا ابنى ! أحبك ! (تتوقف عند الباب منهكة ، وهى تترنح ، وعلى وشك السقوط) لا يهمنى ما تفعل ، اذا عدت تحبنى ثانية فحسب ! (تسقط متهاوية الى الأرض فى اغماءة) .

المنظر الرابع

بعد حوالى ساعة • نفس المنظر الثالث • يظهر المطبخ ومخدع كابوت • الوقت بعد اشراق الفجر السماء وضاءة لشروق الشمس.

(فى المطبخ ، آبى جالســة الى المنضدة ، جســدها خائر ومرهق ، ورأسها محنى فوق ذراعيها ، وجهها مختف • فى الطابق العلوى ، كابوت لايزال نائما ، ولكنــه يستيقظ فجأة • ينظر ناحية النافذة ثم تصدر منه زفرة دهشة وانزعاج ـ يلقى بالأغطية ويبدأ مسرعا فى ارتداء ملابسه • ودون ان ينظر خــلفه ، يبدأ الحديث مع آبى ، التى يعتقد انها الى جواره) •

كابوت : يا للرعود والبروق ، يا آبى ! لم أنم قط حتى هذه الساعة المتأخرة ، خلال خمسين عاما ! يبدو كما لو كانت الشمس قد أشرقت تماما . لابد أن هذا من أثر الرقص والشراب . أو لابد أن العمر تقدم بى . أرجو أن يكون ايبين قد ذهب الى عمله . لا شك انك تجشمت عناء ايقاظه ، يا آبى . (يستدير ، فيجد ألا أحــد هناك ، مندهشا) آه ، أين ذهبت ؟ أظن انها تجمع بعض الخضر . (يسير الى مهد الطفل على أطرافه أصابعه ، ويختلس النظر اليه ، بفخار) طاب صباحك ، يابنى . جميل كالصورة . انه مستغرق

فى النوم . لم يصرخ طوال الليل مثل غالبية الأطفال . (يخرج بهدوء من الباب الخلفى . وبعد بضع لحظات يدخل المطبخ — ويرى آبى — بسرور) اذن فأنت هنا . هل أعددت افطارا ما ؟

آبى : (دون أن تتحرك) كلا .

كابوت : (يذهب اليها ، بلهجة أقرب الى العطف) هل أنت مريضة ؟

آبى : كلا .

كابوت : (يربت على كتفها . فترتعد) من الأفضل لك أن تنامى بعض الوقت (بشىء من الدعابة) سيحتاجك ابنك حالا . حتما سيستيقظ وشهيته مفتوحة ، بعد ذلك الاستغراق فى النوم .

آبى : (ترتعد ، ثم فى صوت لا روح فيه) انه لن يستيقظ أبدا .

كابوت : (مازحا) انه يقلدنى ، هذا الصباح . فأنا لم أنم حتى تلك الساعة المتأخرة خلال ..

آبى : لقد مات .

كابوت : (محدقا فيها — بارتباك) ماذا .. ؟

آبى : قتلته .

كابوت : (يخطو الى الخلف مبتعدا عنها — مشدوها)
هل أنت مخمورة .. أم مجنونة .. أم .. ؟

آبى : (ترفع رأسها فجأة وتستدير اليه — فى وحشية)
أقول لك ، اننى قتلته ! كتمت أنفاسه . اذهب
وانظر بنفسك ، اذا لم تكن تصدقنى !

(يحدق كابوت فيها لحظة، ثم يهرع فجأة خارجا
من الباب الخلفى ، ويمكن سماعه وهو يطأ
الدرج ويندفع الى حجرة النوم ، ثم يتجه
الى المهد . أما آبى فقد تهاوت ، وكأنها
فقدت الحياة ، فى نفس وضعها السابق .
يمد كابوت يده على الجسد الذى فى المهد.
يغمر وجهه تعبير خوف ورعب) .

كابوت : (منكمشا الى الخلف — وهو يرتعد) يا الهى
الجبار ! يا الهى الجبار ! (يتعثر خارجا من
الباب — يعود بعد لحظة قصيرة الى المطبخ —
ويذهب الى آبى — لا يزال على وجهه تعبير
الذهول — فى خشونة) لماذا فعلتها ؟ لماذا ؟
(وحين لا تجيب يجذبها من كتفها بعنف ويهزها).
انى أسألك لماذا فعلتها ! يحسن بك أن تخبرينى
والا ...

آبى : (تدفعه دفعة شرسة ترسله مترنحا الى الخلف ،
ثم تقفز واقفة على قدميها فى حقد وغضب

وحشى) اياك أن تجرؤ على لمسى ! أى حق لك فى توجيه أسئلة الى بشأنه ؟ انه لم يكن ابنك! أكنت تعتقد اننى أنجب ولدا منك ؟ كان أفضل لى أن أموت قبل أن أفعل ! اننى أكره رؤيتك وكنت أكرهها دائما ! لو أحسنت الاختيار ، لتحتم على أن أقتلك أنت ! أنا أكرهك ! أحب ايبين . لقد أحببته من البداية . ولقد كان الطفل ابن أيبين ، كان ابنى وابن ايبين ، ولم يكن ابنك!

كابوت : (يقف متطلعا اليها فى دوار . فترة صمت . يجد طريقه بصعوبة الى الكلمات . ويقول فى تثاقل) اذن فقد كان هذا هو ما أحسست به يتربص ليخز فى الأركان .. عندما كنت تكذبين على .. وتمنعين نفسك عنى .. قائلة انك قد حملت فعلا .. (ينهار فى صمت ساحق — ثم فى عاطفة غريبة) من المؤكد أنه مات ، فقد تحسست قلبه ، ياللمخلوق الصغير المسكين ! (يحجب دمعة وحيدة ، ويمسح أنفه بكمه) .

آبى : (فى عصبية) كلا ، لا تفعل ! لا تفعل ! (تنشج دون توقف) .

كابوت : (فى مجهود ضخم يجعل جسمه يتصلب فى خط مستقيم ، ويجمد وجهه حتى يصبح كالقناع

الحجرى — من بين أسنانه لنفسه) حتم على أن أكون .. كحجر .. كصخرة العدالة ! (فترة صمت — يتمكن من السيطرة على نفسه تماما . بخشونة) ما دام قد كان ابن ايبين ، فانني مسرور لأنه قضى ! بل ربما كنت أرتاب فى الأمر طول تلك المدة . كنت أحس أن هناك شيئا ما غير طبيعى .. فى مكان ما .. فالمنزل قد صار موحشا.. وباردا .. مما كان يسوقنى الى الحظيرة هناك .. الى حيوانات الحقل .. أجل . لابد اننى كنت أشك .. فى شىء ما ! وأنتما لم تخدعانى .. كلية ، والا كان معنى ذلك اننى أصبحت شيخا طاعنا فى السن .. ثمرة حان قطافها .. (يشعر بأنه منساق مع أفكاره ، فيستعيد صلابته ثانية ، ويتطلع الى آبى بابتسامة قاسية) اذن فقد كنت تودين قتلى بدلا منه ، أليس كذلك ؟ حسنا ، سأعيش حتى المائة ! سأعيش لأراك تشنقين ! وسأفوض أمرك الى عدالة الرب وعدالة القانون! سأستدعى المأمور الآن . (يبدأ فى السير ناحية الباب) .

آبى : (فى فتور) لست فى حاجة الى ذلك ، فقد ذهب ايبين لاستدعائه .

كابوت : (مندهشا) ايبين .. ذهب لاستدعاء المأمور ؟

آبى : أجــل ...

كابوت : ليبلغ ضدك ؟

آبى : أجــل .

كابوت : (يفكر فى هذا — فترة صمت — ثم فى صوت قاس) حسنا ، انى أشــكر له أن كفانى تلك المشــقة . ســأذهب للعمــل . (يذهب الى الباب — ثم يستدير — فى صــوت ممتلىء بعاطفة غريبة) آبى ، كان يتحتم أن يكون ذلك الطفل طفلى ، كان ينبغى أن تحبينى . أنا رجل ولو كنت قد أحببتنى ، لما أبلغت المأمور ضدك أبدا ، مهما كانت فعلتك ، حتى ولو أحرقونى حيــا !

آبى : (مدافعة) هنالك أشياء أعمق مما تتصور ، وهذا ما دفعه لأن يبلغ عنى .

كابوت : (بجفاء) آمــل أن تكون تلك الأشــياء فى مصلحتك (يخرج — يستدير متجها الى البوابة. يرفع باصريه الى السماء تتضاءل سيطرته على نفسه وللحظة . يبدو مسنا متعبا . يغمغم فى يأس) . يا الهى الجبار ، سأشعر بالوحشة أكثر من أى وقت مضى ! (يسمع وقع أقدام تجرى

آتية من اليسار ، وفى الحال يسترد رباطة جأشه مرة أخرى . يدخل ايبين وهو يجرى ، ويلهث فى ارهاق ، فى عينيه نظرة وحشية ، ويبدو عليه الجنون . يندفع داخلا من البوابة . يجذبه كابوت من كتفه . يحدق ايبين فيه بغباء) .

كابوت : هل أبلغت المأمور ؟

ايبين : (يومىء برأسه فى غباء) أجل .

كابوت : (يدفعه بعيدا دفعة تجعله يزحف على الأرض . وهو يضحك فى ازدراء فاتر) .

هذا أنسب لك ! لقد كنت نسخة ممتازة من أمك ! (يسير فى اتجاه الحظيرة ، وهو يضحك ضحكة خشنة . ايبين يجاهد للوقوف على قدميه . وفجأة يستدير كابوت — عابسا وفى تهديد) . عليك أن تغادر هذه المزرعة ، حين يأخذها المأمور ، والا فانى أقسم بالله العظيم ، أن أجعله يعود ليأخذنى أنا الآخر ، بتهمة القتل!

(يبتعد فى تثاقل . لايبدو على ايبين انه سمعه . يهرع الى الباب ، ثم يدخل الى المطبخ . تنظر آبى أعلا وهى تصدر صرخة ابتهاج محزونة. يتعثر ايبين ناحيتها، ثم يلقى بنفسه على ركبتيه الى جوارها ـ وينشج فى انكسار) .

ايبين : سامحينى !

آبى : (بسعادة) ايبين ! (تقبله وتجذب رأسه الى صدرها) .

ايبين : انى أحبك ! سامحينى !

آبى : (فى افتتان) انى لأغفر لك كل خطايا الجحيم لمجرد قولك هذا ! (تقبل رأسه ، وهى تضغطه الى جسدها فى عاطفة امتلاك وحشى) .

ايبين : (فى انكسار) ولكنى أبلغت المأمور . انه قادم لأخذك !

آبى : الآن ، أستطيع تحمل ما يحدث لى !

ايبين : لقد أيقظته ، وأخبرته . فقال : « انتظرنى حتى أرتدى ثيابى » . وكنت فى انتظاره ، حين خطرت على بالى . وأخذت أفكر الى أى مدى أحبك . وكان هذا مؤلما ، كما لو كان هناك شىء ما ينفجر فى صدرى ورأسى . وبدأت أبكى . وفجأة عرفت اننى لازلت أحبك واننى سأظل دائما أحبك !

آبى : (مداعبة شعره برقة) أنت فتاى ، أليس كذلك؟

ايبين : وأخذت أجرى عائدا . واخترقت الحقول

والغابات ، كنت أعتقد انه لا يزال أمامك وقت للهرب معى ... و .

آبى : (وهى تهز رأسها) حتم على أن أتلقى عقابى ، أن أدفع ثمن خطيئتى .

ايبين : اذن فانى اريد أن أشاطرك اياها .

آبى : ولكنك لم تفعل شيئا .

ايبين : لقد دفعت بالفكرة الى رأسك . لقد تمنيت موته ! لقد دفعتك الى أن تفعليها !

آبى : كلا .. لقد كانت فعلتى وحدى !

ايبين : اننى آثم مثلك تماما ! لقد كان الطفل ثمرة خطيئتنا .

آبى : (وهى ترفع رأسها كما لو كانت تتحدى الاله) اننى لست نادمة على تلك الخطيئة ! اننى لن أطلب المغفرة من أجلها ، حتى من الله !

ايبين : ولا أنا ، ولكن تلك الخطيئة قادت الى خطيئة أخرى ، وتلك الجريمة التى ارتكبتها ، لقد ارتكبتها من أجلى ، فهى أيضا جريمتى . سأخبر المأمور بذلك ، ولو أنكرته فسأقول اننا دبرنا الخطة سويا ، وسيصدقنى الجميع ، لأنهم يرتابون فى كل ما فعلناه ، وسيبدو هذا القول

مقبولا لديهم وحقيقيا . بل انه حقيقى .. لقد ساعدتك بشكل ما ، على الانحدار الى الهاوية.

آبى : (مسندة رأسها الى رأسه ، وهى تنشج) كلا ! لا أريدك أن تقاسى !

ايبين : حتم على أن أدفع ثمن نصيبى من الخطيئـة ! وسأقاسى أكثر ، لو تركتك وذهبت الى الغرب، وظللت أفكر فيك ليل نهار : أننى طليق بينهما أنت حبيسة . (مخفضا من صوته) أو اننى حى بينما أنت ميتة . (فترة صمت) أريد أن أقاسمك ، يا آبى .. أقاسمك السجن أو الموت أو الجحيم أو أى شىء ! (يحـدق فى عينيها ويغتصب ابتسامة مرتعدة) وحين أقاسمك ذلك فلن أشعر بالوحشة ، على الأقل .

آبى : (بتخاذل) ايبين ! لن أدعك ! لا أستطيع أن أدعك !

ايبين : (وهو يقبلها — برقة) لن تستطيعى منعى ، فلأول مرة تسببت فى هزيمتك !

آبى : (وهى تغتصب ابتسامة ، فى وله) لن أهزم ، ما دمت قد أصبحت لى !

ايبين : (يسمع وقع خطـوات فى الخـارج) هس ! اسمعى ! لقد جاءوا لأخذنا !

آبي : كلا ، انه هو ! لا تعطـه أي فرصة للتشاحن معك ، يا ايبين . لا تقل شيئا ، مهما قال . وأنا كذلك لن أفعل . (انه كابوت . يأتي قادما من الحظيرة في حالة اضطراب فظيعة ، ويخطو الى داخل المنزل ، ثم الى المطبخ . ايبين راكع الى جوار آبي ، وذراعه محيط بها ، وذراعها يحيط به . وهما يحدقان فيما أمامهما) .

كابوت : (يحملق فيهما ، وجهه صلب . فترة صمت طويلة ، باتهام) أنتما مظهر خادع ليمامتين قاتلتين ! ينبغي أن يشنق كلاكما في فرع شجرة واحد ، وأن تظلا تتأرجحان في الريح حتى يصيبكما العفن .. حتى تكونا درسا للأغبياء المسنين من أمثالي يدفعهم الى أن يتحملوا الوحشة بمفردهم . وللأغبياء من أمثالكما لكي يكبتوا شهواتهم . (فترة صمت . يعود الانفعال الى وجهه ، عيناه تطرفان ، يبدو كما لو كان قد أصابه شيء من الجنون) . لم أستطع أن أعمل اليوم . لم يكن لدى أدنى اهتمام بالعمل . فلتذهب المزرعة الى الجحيم ! سأهجرها ! لقد أطلقت سراح الأبقار والماشية الأخرى ! قدتها

الى الغابات حيث تستطيع أن تكون حـرة !
وحين أحرر هذه الحيوانات فانى أحرر نفسى!
سأغادر هذا المكان اليوم ! وسأشعل النار فى
المنزل والحظيرة وأرقبهما يحترقان ، وسأترك
لوالدتك أن تسكن الرماد ، سأوصى بأن تعود
الحقول الى الرب ، حتى لا يمسها أبدا أى بشر!
وسأذهب الى كاليفورنيا لأنضم الى سيميون
وبيتر — أبنائى الحقيقيين حتى ولو كانا غبيين
ساذجين — وهناك سيعثر آل كابوت سويا على
كنوز الملك سليمان ! (يقفز فجأة قفزة مجنونة)
هوب ! ماذا كانت الأغنية التى غنياها ؟ . « أوه،
كاليفورنيا ! تلك أرضى الموعودة » . (يغنى
تلك الكلمات — وبعدئذ ينحنى على ركبتيه الى
جوار لوح الخشب الذى خبئت تحته النقود).
وسأبحر الى هناك على أحسن سفينة ألقاها !
فلدى النقود ! من أسف انك لم تكن تعرف
أين خبئت تلك النقود ، والا تمكنت من سرقتها..
(يجذب اللوح الخشبى . يحدق—يتحسس—
يحدق ثانية . فترة صمت قاتل . يستدير ببطء
ويجاهد ليأخذ وضع الجلوس على الأرض ،

عيناه كعينى سمكة ميتة ، ووجهه به خضرة مرضية تدل على نوبة غثيان . يبتلع ريقه فى ألم مرات عدة — وفى النهاية يغتصب ابتسامة واهنة) اذن — فقد سرقتها !

ايبين : (دون انفعال) لقد أعطيتها لسيم وبيتر نظير نصيبهما فى المزرعة ، ولكى يدفعا أجر عبورهما البحر الى كاليفورنيا .

كابوت : (مع ضحكة ساخرة واحدة) ها ! (يبدأ فى استعادة رباطة جأشه . ينهض ببطء على قدميه — بلهجة غريبة) أعتقد أن الرب هو الذى منحها لهما — ولست أنت ! ان الرب صلب ، وليس هينا ! ربما يوجد ذهب سهل فى الغرب، ولكنه ليس ذهب الله . انه ليس لى . باستطاعتى أن أسمع صوته يحذرنى مرة أخرى ، لكى أكون صلبا وأبقى فى مزرعتى .. باستطاعتى أن أرى يده تدفع يد ايبين للسرقة ، حتى يحفظنى من الوهن . أستطيع أن أحس اننى فى راحة يده ، وان أصابعه ترشدنى . (فترة صمت — ثم يغمغم بحزن) ستكون الحياة الآن أكثر وحشة من أى وقت مضى .. ولقد تقدم بى العمر ، يا الهى صرت ثمرة حان قطافها .. (ثم يعود

لصلابته) حسنا ، وماذا تريد ؟ ان الرب وحيد ، أليس كذلك ؟ الرب صلب ووحيــد ! (فترة صمت . من يسار الطريق يأتى المأمور ومعه رجلان يتحركان بحذر تجاه الباب . يقــرعه المأمور بكعب مسدسه) .

المأمور : افتحوا باسم القانون ! (يتنبهون) .

كابوت : لقد أتوا لأخذكما . (يذهب الى الباب الخلفى) ادخل ، ياجيم ! (يدخل الرجال الثلاثة ويقابلهم كابوت فى مدخل الباب) . لحظة واحدة يا جيم . اننى متحفظ عليهما هنا . (يومىء المأمور برأسه. ويبقى هو ورفاقه عند مدخل الباب) .

ايبين : (مناديا فجأة) لقد كذبت عليك هذا الصباح ، يا جيم . لقد عاونتها فى ارتكاب جريمتها . خذنى أنا أيضا .

آبى : (فى انهيار) كلا !

كابوت : خذهما سويا . (يتقــدم اليهما — يحدق فى ايبين وفى عينيه أثر من اعجاب وحقد) هذا خير لك بكثير ! حسنا ، ينبغى على أن أجمع الماشية. وداعا .

ايبين : وداعا .

آبى : وداعا .

(يستدير كابوت ويخطو مبتعدا عن الرجال ـ يخرج ، ثم يستدير حول ركن المنزل ، كتفاه مفرودتان ، ووجهه متحجر ، ويسير في تثاقل وعبوس الى المخزن وفي نفس الوقت يدخل المأمور ورجاله الغرفة) .

المأمور : (مرتبكا) هيه ، من الأفضل أن نرحل .

آبى : انتظر . (مستديرة الى ايبين) أحبك ، يا ايبين !

آيبين : أحبك ، يا آبى . (يقبل كل منهما الآخر . يبتسم الرجال الثلاثة وهم ينقلون أقدامهم فى حرج) .

ايبين : (للمأمور) هيا بنا (يتناول يد آبى) تعالى . (يخرجان من الباب الخلفى ، يتبعهما الرجال ، ثم يخرجان من المنزل ، وأيديهما متشابكة فى طريقهما الى البوابة . يتوقف ايبين هناك ويشير الى السماء التى أشرقت شمسها) الشمس تشرق . رائعة ، أليس كذلك ؟

آبى : أجل . (يقف كلاهما لحظة يتطلعان الى أعلا ذاهلين عما حولهما ، وهما فى عزلة وخشوع غريبين) .

المأمور : (ينظر حوله الى المزرعة فى حسد — ثم الى رفاقه) لا يستطيع أحد أن ينكر أنها مزرعة رائعة . كم أتمنى لو كانت لى !

(ستار الختام)

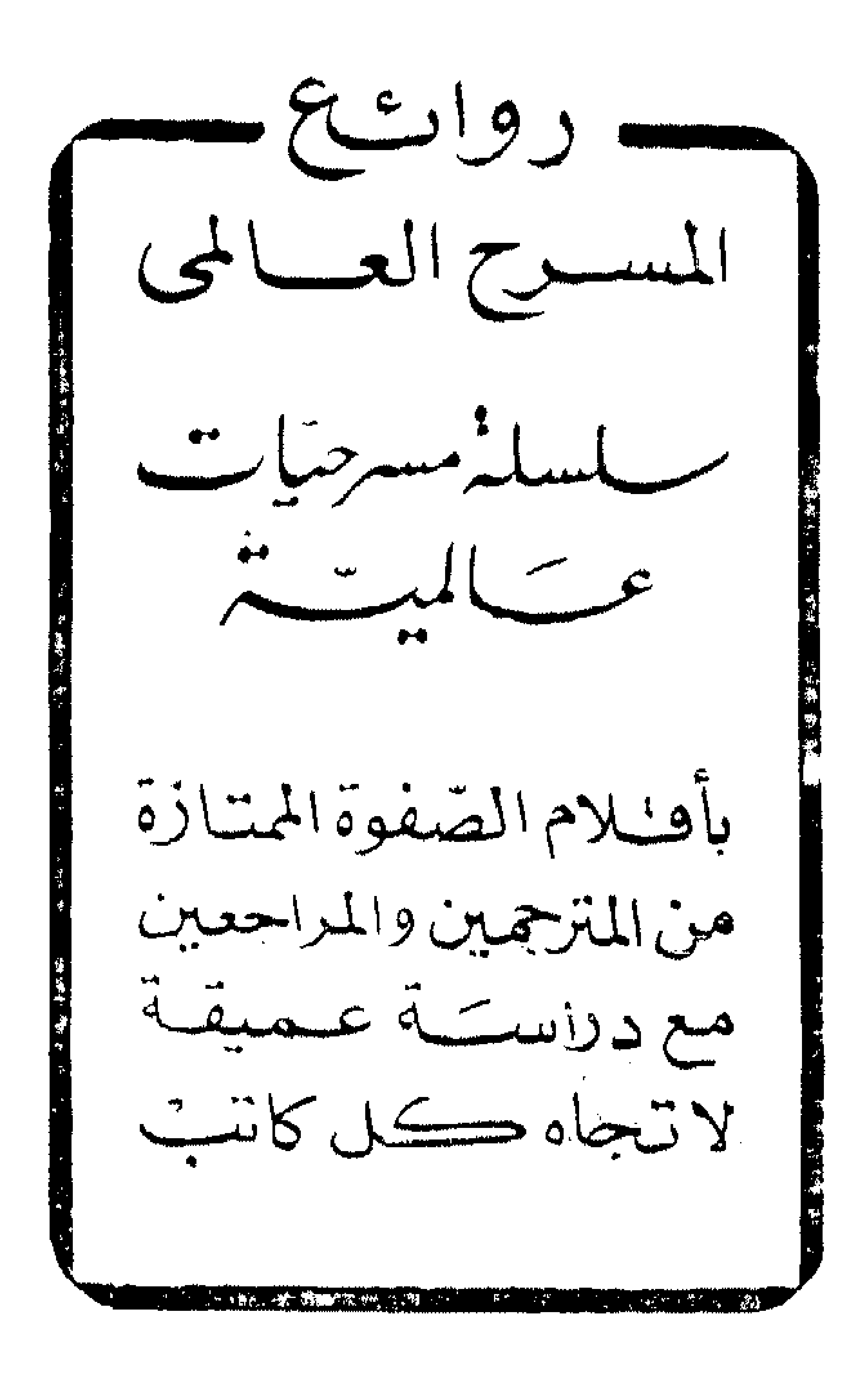
روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٣٨ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	ـ الشقيقات الثلاث	انطون تشيكوف
٢	ـ أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	ـ سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	ـ مروحة ليدى وندرمير	أوسكار وايلد
٥	ـ بنيلوبى	سمرست موم
٦	ـ الغربان	هنرى بك
٧	ـ اليكترا	جان جيرودو
٨	ـ توركاريه	ا • ر • لوساج
٩	ـ الدائرة	سمرست موم
١٠	ـ شاترتون	ألفرد ديفينى
١١	ـ الأم	كارل تشابك
١٢	ـ اللعبة الغادرة	جون جالزورذى
١٣	ـ لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ـ ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	ـ عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	ـ عزيزى بروتس	ج • م • بارى
١٧	ـ رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	ـ هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	ـ سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	ـ كنوك	جول رومان
٢١	ـ جونو والطاووس	شين أوكاسى

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا ألبا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨	ما تعرفه كل امرأة	جيمس بارى
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا . . .	أوسكار وايلد
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	جورج برنارد شو
٣٢	القيثارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية . . .	آرثر ونج بينيرو
٣٥	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك ابسن
٣٦	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمان
٣٧	سيجفريد	جان جيرودو
٣٨	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج مؤسسة الخانجى بالقاهرة
ويطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »
ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار القلم للملايين ببيروت .



ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج مؤسسة الخانجى
ويطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاه

الثمن ١٠ قروش

مطبعة مصر
يوليو ١٩٦٣